سيكـولوجيـة تعـديل القـوة التوجيهيـة فـي الخطــاب القـرآنــي

د/هانم محمد حجازي الشامي

أستاذ النقد والبلاغة المساعد، كلية الآداب/ جامعة كفر الشيخ

ملخص البحث باللغة العربية:

إن الوجوه البلاغية تنويعات على اللغة تتحقق وفقًا للمنطوقات التقريرية والأدائية. والبحث البلاغي معنيّ بالكشف عما تحمله بنية الخطاب من قوة تعبيرية ممثلة في اختلاف الغرض المضمَن للقول الذي يتحدد درجة شدته أو ضعفه تبعًا للمقويات أو المضعفات الموجهة للمتكلم، أو المتلقي، أو المحتوى القضوي.

وتُعَدُّ التوجيهات بعدًا مهمًا للأفعال الإنجازية؛ حيث تحمل دلالاتٍ متعددةً، وتلوينات تأثيرية يدركها المتلقى وفقًا لتأويلاته. وشرط الإخلاص يتمثل في الرغبة الحاسمة في محاولة المتكلم توجيه المتلقي إلى فعل بعينه. ومن هنا وجد مفهوم الفعل، ومفهوم السياق، ومفهوم الإنجاز في التداولية باعتبارها مؤشراتٍ على اتجاهات النص الأدبي في النظرية الأدبية.

ويناقش البحث القوة (التوجيهية) بما تحمله من لوازم إضافية، وما تعزف عليه من أدوات تحسينية؛ لاعتماد الملفوظ أو تعديله؛ حيث تتفاعل الوظيفة الشعرية مع الوظيفة الإفهامية؛ لتوجه الناتج الدلالي للصياغة إلى المتلقي. كما يكشف عن مدى استخدام الصيغ التوجيهية، وتوضيح أثر التشكيل الصوتي والوسائل المعجمية، والتركيبية، والخطابية، ووسائط ما وراء التلفظ في تعديل القوة المشتق عن مسارين؛ السوسيو–نصي الذي يعمد إلى بيان قوة التوجيه، ورصد آليات الدلالات الاجتماعية المتولدة عنه. والسيكو–نصي الذي يتمثل في تحريك الوازع، وبثّ الحافز في الائتمار بعمل معين، أو الكف عن آخر، ورصد الدلالات النفسية الصادرة عنه أو المستلزمة له.

ومن ثمَّ فإن تعديل القوة التوجيهية يوضح أن البلاغة فن الوصول إلى تعديل موقف المتلقي، ولا يجوز اختزالها فى بعدٍ بعينه. ويكشف عن العلاقة الوثيقة بين أفعال الكلام الإنجازية وسياقاتها اللغوية وغير اللغوية. كما يؤكد أن وصف القوة، وتحديد سيكولوجيتها، وتعيين درجاتها من المداخل الرئيسة لتحليل الخطاب الأدبي بوجه عام، والخطاب القرآني على جهة الخصوص.

الكلمــات المفتــاحــية (القوة، الغرض، الموجهة، الملزمة، الفعل الإنجازى).

Abstract

The psychology of modifying the directive force in the Qur'anic discourse

Rhetorical faces are linguistic variations achieved through declarative and performative utterances. Rhetorical research seeks to reveal to reveal the expressive force of the discourse structure represented in the difference in the implicit purpose of the statement, which is determined by the degree of its intensity or weakness according to the strengths or weaknesses directed to the speaker, the recipient, or the predicative content.

Directing is an important aspect of performance actions; it carries multiple semantics and effective colorings that the recipient recognises based on his interpretations. The condition of sincerity is represented by the speaker's strong desire to persuade the recipient to do something specific. As a result, he discovered in pragmatics the concepts of action, context, and performance as indicators of literary text directions in literary theory.

The goals of this study are to discuss the (directive force), the additional supplies it carries, and the improvement tools it employs; to approve or modify the utterance; where the poetic function interacts with the comprehensive function; and to direct the semantic output of the formulation toward the recipient. It also reveals the extent to which prescriptive formulas are used, as well as clarifying the effect of phonemic formation, lexical, syntactic, rhetorical, and meta-speech modalities in modulating the force resulting from two paths: socio-textual, which aims to demonstrate the power of directing and monitor the mechanisms of social semantics generated by it. The psycho-text, which is represented by the effect of force in moving the motive, spreading the stimulus to a specific act, or refraining from another, and monitoring the psychological consequences of it.

As a result of changing the directive force, it is clear that rhetoric is the art of changing the recipient's attitude, and it is not possible to reduce it to a single art form. It demonstrates the close relationship that exists between speech performance actions and their linguistic and non-linguistic contexts. It also asserts that describing the force, determining its psychology, and determining its degrees are among the primary gateways to analysing literary discourse in general, and Quranic discourse in particular.

Keywords: Force, Purpose, Directing, Obligation, Performance Actions

منـهج البـحث:

اتبع البحث المنهج التكاملي الذي يأخذ من مختلف المناهج، لاسيما المنهج الأسلوبي؛ حيث ينطلق من أن النص صرحٌ مكتملٌ ينبغي تتبع ما يتميز به عن بقية مستويات الخطاب؛ والعوامل المؤثرة في بنائه؛ ليحدد هويتها، ويحل رموزها من خلال دراسته للأشكال التعبيرية، ورصده للآثار التي تنتجها تلك الأشكال في نفوس المتلقين. كما اعتمد على المنهج الوصفى القائم على التحليل؛ لمعرفة المعنى العام المراد توجيهه، والمعلن عنه من خلال السياق الذي ورد فيه، كاشفًا عن تعيين الفعل الأدائي، أو خروجه عن التعيين؛ لتعديل قوة الملفوظ والكشف عن الوسائط التي أدت إلى ذلك. واستدعى حالة الخلق والبناء المنهج السيميائي؛ للكشف عن تشكيل القوة التوجيهية بأنماطها المتعددة؛ ومعرفة تأثيراتها العبورية في استخلاص المعنى ومعنى المعنى. ولا يغفل البحث عن الاستعانة بالمنهج االتداولي؛ إذ الفعل الكلامي؛ نواة القوة الإنجازية؛ تتحقق أسسه وضوابطه الإنجازية من خلال مراعاة قصدية المتكلم، والحال التي يكون عليها المتلقي، ومحتوى الخطاب، والمقام الذي سيق فيه. وإذا كان المنهج مفتاحًا إجرائيًّا يعين على كشف باطن النص وحقيقته؛ فقد استعان البحث بالمنهج النفسي؛ لمعرفة العلاقة (قوتها ودرجاتها) بين التوجيه والموجه والموجه إليه؛ من هنا نتفادى وسم الخطاب بأنه مجرد إجراء، والقضاء على البلاغة التي تدعو إلى الأنماط المتداولة المصنفة في الأشكال البلاغية إلى بلاغة تمتاز بالمنطقية وتتجاوز المعيارية، تخرج من مبدأ الآلية إلى معيار التعدد والانفتاح، بلاغة ماثلة فى الواقع الإبداعي، لها معيارها النسبي ووظيفتها الشعرية على الخطاب الذي يحتويها.

ســـــؤال البـــحث:

هل القوة التوجيهية لها قدرة على تطويع اللغة، وإعادة تشكيلها؟ ما الوسائط التي تؤدي إلى تعديل تلك القوة؟ وما أنواعها؟ وما أسبابها؟ وهل لها دورٌ فاعلٌ في الفعل التأثيري أم الفعل الإنجازي فحسب؟ وهل تعيين القوة من المداخل الرئيسة لتحليل الخطاب الأدبي؟ وهل التواصل الأفقي والعمودي يختلف في الخطاب القرآني المكي عن الخطاب القرآني المدني؟. ومن ثمَّ وجب التنويه إلى تنوع التطبيق بين المكي والمدني؛ لإظهار حتمية التوجيه التي تلح على التواصل بين طرفي الخطاب أو الإعراض عنه.

يأتي البحث للوقوف على أهمية تعديل القوة الموجهة للمتلقي من خلال مقدمة تناولت المنهج، وأهميته، وسؤال البحث، وتمهيد تضمن الإشكالية المركزية في تداولية أفعال الكلام، والقوة التوجيهية بوصفها عنصرًا فاعلًا في الفعل الإنجازي، والفرق بين الغرض والدرجة، وأسباب تعديل القوة الإنجازية، وأنواع الأدوات والوسائط التي تؤدي إلى تعديل القوة الإنجازية، وأنواع القوة، وتوظيف ذلك في عدة مباحث كالآتي: المبحث الأول: التشكيل الصوتي وتعزيز قوة المنطوق. ويتناول محورين؛ الأول: القراءات القرآنية وتعديل القوة الإنجازية. الثاني: العلاقة التوكيدية والخط التنغيمي. المبحث الثاني: الوسائل المعجمية وتعزيز قوة المنطوق.

ويتناول محورين؛ الأول: القواطع الأسلوبية وتعضيد القوة المشتقة/ المستلزمة. المحور الثاني: القوة الموجهة والفعل التأثيري المعلن عنه. المبحث الثالث: الوسائل التركيبية وتعديل القوة الإنجازية، ويتناول محورين؛ الأول: التذييل ذو الاستقطاب المتناظر. الثاني: القوة الحجاجية والتواصل الأفقي والعمودي. المبحث الرابع: الوسائل الخطابية وتعزيز قوة المنطوق، ويتضمن ثلاثة محاور؛ الأول: تعيين الفعل الأدائي. الثاني: الإعادة المباشرة للعناصر (التكرار الكيميائي). الثالث: القوة الإنجازية وقوة الروابط الحجاجية، ويتضمن نقاط ثلاث؛ الأولى: الإضافة السببية. الثانية: الإضافة التخالفية. الثالثة: الارتباط التراكمي. المبحث الخامس: وسائط ما وراء التلفظ وتعزيز قوة المنطوق، واتخذ البحث القوة التوجيهية لموعظة لقمان لابنه أنموذجًا.

تمهـــيد:

اتجهت البلاغة العربية إلى دراسة الفعل الإنجازي وفصلت فيه القول، فأشارت إلى الفعل اللفظي والقضوي من خلال قضية الإسناد ونسبة المسند إلى المسند إليه، وأغراض الملفوظ من خلال التعبيريات والطلبيات التى أشارا إليهما أوستين وسيرل[1]، وفي ذلك يقول سعد الدين :" كثيراً ما تورد الجملة الخبرية لأغراض أخرى سوى إفادة الحكم أو لازمه"[2]. وهذه الأغراض البلاغية يصعب حصرها، حيث تتعدد دلالتها بحسب السياق وقد صار لها صدى واسع في أدبيات نظرية التأويل[3]. وخاض البلاغيون القدامى فى نظرية الأفعال غير المباشرة، حينما يصل المخاطَب إلى الغرض من الملفوظ بالدلالة الصريحة أو الحرفية، أو ما يستدعيه اللفظ من دلالات استلزامية تقتضى المعاني الثواني[4].

وتتمحور الإشكالية المركزية فى تداولية أفعال الكلام[5]؛ الأفعال الضمنية أو غير المباشرة **Indirect Speech Acts**؛ حيث تكمن فى المسافة بين القول والمقصد وطبقات المعنى المتعددة،..، فالفعل الإنجازى الإعلانى: "أنت آتٍ غدًا"–إذا لم يقيده السياق اللغوي وغير اللغوي يمكن أن يُفسر بأنه تبليغ، أو استفهام، أو طلب....،. ونجد أن جون سيرل قد أدخل"الإلماع**Hint**، والتلميح**Insinuation**، والمفارقة**Irony**، والاستعارة**Metaphor**، حيث ينفك معنى منطوق المتكلم**Speakeres Utterance Meaning**، عن معنى الجملة[6]. وهو ما يقصده أوستين بـ "الاستلزام الحوارى" **Conversatioual Implicature** معرفًا إياه بأنه:" طريق يربط به صدق إثبات حكم ما بصدق ثبوت حكم آخر رابطًا ذا شأن وبال، دون أن يكون لهذا الربط المعنى الوحيد،...، أو هو استنتاج حكم من حكم آخر على وجه معلوم عندهم [7]. ويأخذ المعنى عند ريكور مظهرين؛ المعنى الذي يريد القائل نقله، والمعنى الذى ينقله الخطاب بالفعل[8].

– وتُعَدُّ التوجيهات **Directives** عنصرًا فاعلًا فى الفعل الإنجازى؛ حيث تحمل دلالات متعددة، وتلوينات تأثيرية يدركها المتلقى وفقًا لتأويلاته[9]. والمهمة الرئيسة للنظرية تكمن فى تحويل العبارات إلى أفعال منجزة فى مواقف بعينها، مع توافر الشروط اللازمة لجعل تلك الأفعال ناجحة[10]. وشرط الإخلاص**Sincerity** يتمثل فى الرغبة الحاسمة فى محاولة المبدع توجيه المتلقى إلى فعل أمرٍ بعينه، والشرط التمهيدى **Preparatory** يتحقق إذا كان المخاطَب قادرًا على إنجاز فعل بعينه، لكن لايتبين عند طرفى الخطاب إلا إذا كان الفعل سيتم

إنجازه أم لا. والشرط العام للمحتوى القضوىPropositional Content ، يتحقق إذا ألزم المتكلم نفسه بتحقيق شيئًا فى المستقبل. والشرط الأساسى Essential ينجز حينما يحاول المخاطَب التأثير فى المخاطِب؛ ليفعل شيئًا ما[11].

والجملة تنطوى فى مكونها الملفوظى على مُوَجّهٍ Modalite يشكل توقعًا لنمط الفعل الذى تميل إلى إنجازه. وينبغى التنبيه على أن هذا الميل هو ميل نوعى Generique وأنه يمكن للجملة تغييره بسهولة، وهكذا حين تتحول الجملة التصريحية إلى ملفوظ، فإنها تصبح شيئًا آخر غير التصريح. هذا يعنى أننا نستخدم الجملة التوجيهية بالمعانى الاشتقاقية التى توجهه منظومات الاتفاقات الخاصة بمجتمع معين. وهو أكثر خصوصية بالمقام وبالعلاقة الذاتية المتبادلة بين المعنيين؛ والفعل الذى تنجزه الملفوظية، بالنسبة للفعل الذى تشير إليه الجملة[12].

وقد صنف سيرل الأفعال الكلامية إلى خمسة أصناف؛ "الإخباريات/التقريريات، والتوجيهات/الطلبيات، والالتزاميات/ الوعديات، والتعبيريات، والإعلانيات"[13]. وميَّز أوستين بين نوعين من الملفوظات اللغوية، وهما: الأفعال الإخباريةConstative وتكون صادقة أو كاذبة. وآثر تسميتها بالأفعال الوصفية Descriptive؛ لأنه ليس كل ما يقبل الصدق والكذب يدل على الوصف. فالصورة الخارجية للتلفظ تصف وقوع الحدث وصفًا إنجازيًّا صحيحًا سواء أكان هذا الوصف صائبًا أم لا[14]. وظهر بالتالى الافتراض القائل بأن مهمة العبارة هى وصف أو تصوير حالة من حالات الوجود الخارجى أو تقرير لواقعة من وقائعه، ثم يأتى الحكم عليها من خلال قابلية هذه العبارة للتحقق فى الواقع أو عدم قابليتها[15]. يتضح من هذا أن أوستين رفض ثنائية الصدق والكذب معلنًا أن القول عبارة عن فعل أو عمل. فالمنطوقات الأدائية هى التى تُنجز بها الأفعال؛ أى تؤَّدى بها أعمال أثناء نطقها؛ حيث يقترن فيها النطق أو القول بأداء الفعل أو إنجازه [16]. وقد قام بهذا التمييز بعد أن وجد أن الأقوال تعكس نمطًا أو نشاطًا تواصليًّا أكثر من كونها كلماتٍ يتعاورها مفهوم الصدق والكذب، وبيّن أن كل الجمل ليست جملًا خبرية، فهى قد تخرج عن ذلك لتنجز وعدًا، أو تصريحًا.

وتتعدد طبقات المعنى والآثار المترتبة على ذلك فى المسافة التى تكمن بين القول والمقصد، وهذا هو المَعْنى بقول"سيرل" درجة الشدة"، والاختلاف للغرض المضمن للقول، وعلامات القوة سواء أكانت وسائل معجمية أم هيئات تركيبية، تعد مفاتيح لغوية تقود إلى تعيين القوى والتمييز بين درجاتها. يضاف إلى ذلك الاعتبارات البراجماتية الأخرى بما فيها من استلزامات حوارية، وأعراف الاستعمال الضمنية[17]. إن إنجازية الملفوظ تتمثل فى إنجاز ما يقصده المتكلم بقوله، وما يخلفه القول من تأثير، إلى جانب الكيفية التى يتلقى بها المستقبل، والخلفية الثقافية والإدراكية لديه، واستيعابه الشروط المحددة لمناسبة المقام لمقتضى الحال. وقد اهتمت التداولية فى تحليل أفعال الكلام بهذه الأمور، وأعلنوا عن نتائج صار لها أهمية كبرى فى نظرية التأويل؛ منها:

- يعدل المتكلم ملفوظه وفقًا لمعطيات السياق، هذا يعنى ارتباط سيكولوجية الخطاب بقصدية طرفي التواصل، لكن قد يخرج الخطاب على خلاف مقتضاه، وقد أطلق البلاغيون القدامى على هذه الظاهرة: "الخروج على خلاف مقتضى الظاهر"[18]، وتعددت المسميات عند المحدثين بين (الانتهاك، والانحراف، والانزياح،...)[19]. وأطلق عليها "أوستين: "القدح فى مسلك الاحتكام"، وهو يعنى أن الموقف خرج من الأسلوب الصريح المباشر إلى غير المباشر، لكنه ينعته بـ عدم مناسبة التطبيق "Misapplications"[20].

- إن المعنى المراد من القوة الإنجازية غير المباشرة يحتاج إلى إعمال الذهن، وقدرات استدلالية تنبع من المقام ومن الخلفية المعلوماتية للمتلقى. لكن هناك نوعًا آخر من الأفعال غير المباشرة يطلق عليه "الاستلزام الحوارى Conversatioual Implicature، حيث يفهم من المنطوق أمران؛ أحدهما مباشر وآخرهما غير مباشر[21]. ويتبين من هذا أن الوصول إلى المعنى يتطلب القرائن ومقامات الكلام، وقد تكلم العرب عن المعانى الثوانى التوليدية التى تنبثق من المعانى الحرفية وتتولد عنها وفقًا للمقام الذى سيقت فيه[22].

- أي فعل تعبيرى يهدف إلى "التأثير على المخاطب"، ولهذا فإن المتحدث يملك ألف شكل من أشكال القول. ومجموع أشكال القول يشكل التعبيرية Epressivite. ولايمكننا تصور فعل لغة لا وجود للتعبيرية فيه تمامًا[23]. وعليه؛ فإن القوة الإنجازية إحدى الوسائل لتحقيق أعلى درجة من الإقناع، فهى تشكّل تمظهرًا للقصد التداولى، فالمتكلم لا يعتمد على الدلالة اللسانية فحسب، بل يُجنِّد كل ما لديه من مقدمات ومؤشرات وقرائن وقدرات استدلالية تؤهله للتأثير فى متلقيه.

-يمتلك الملفوظ الواحد قوتين إنجازيتين؛ فالأفعال المباشرة تطابق قصدية المتكلم. وغير المباشرة هى التى تخالف مراده. وهذا يعنى خروج الكلام على مقتضى الظاهر، أى المعنى الكامن فى المعنى الحرفى، وهو مبدأ التعاون الحوارى عند جرايس، وأطلق عليه سيرل "استراتيجية الاستنتاج Inference Stratigy. وهو كيف يقول المتكلم شيئًا ويقصد شيئًا آخر؟ ومن ثمَّ كيف يفهم المخاطب قصدية المتكلم؟[24]. وقد تكلم البلاغيون القدامى عن الوصول إلى الغرض من المنطوق بدلالة اللفظ وحده، أو أن اللفظ يدلُّ على معنى ثانٍ يتطلبه ويستدعيه، وفى ذلك يقول الجرجانى: "الكلامُ على ضَرْبين: ضربٌ أنت تصل منه إلى الغرض بدلالة اللفظ وحده،...، وضربٌ آخرُ ،...، يدلُّكَ اللفظ على معناه الذى يَقْتضيه موضوعه فى اللغُة، ثُمَّ تجد لذلك المعنى دلالة ثانية تصل بها إلى الغرض"[25].

-إن القوة الإنجازية حصيلة عوامل عدة، والغرض الإنجازى جزءٌ منها، فالقوة درجة، والغرض وظيفة[26]، ولا يمكن تحديد تلك القوة إلا من خلال المعنى والفهم للملفوظ والمقام الذى سيق فيه. هذا يعنى أن المعنى أوسع من القوة؛ لأنه يشمل القوة والمحتوى القضوى، ويتبين منه أن استعمالات اللغة غير محدودة من جهة القوة الإنجازية، لكنها تحدد بواسطة الاستعمالات اللغوية التى تؤدى أغراضًا معينة.

-تعيين القوة التوجيهية يتطلب فهم المنطوق وارتباطه باهتمامات المتلقى، وارتباطه بسائر عناصر الخطاب، والسياق الذى يقع فيه، والمعرفة بالمحتوى القضوى الذى تحدده القوة الإجبارية والوسائل الدالة، مثل

الاختلاف بين قولنا: أنا أعتذر، أنا آسف، أنا أتوقع، أنا أتنبأ، فالملفوظ جارٍ مجرى المناسبة للقول، وهذه الملاءمة – فى ذاتها– إنشاء لفعل إنجازى بعينه[27].

– لابدَّ من معرفة أن هناك أربعة موجهات؛ الأول: الموجهات الأساسية التى تعتمد على (الأمر، والنهى، والاستفهام، والنداء والتمنى، والجملة التوكيدية، وما يتولد عنها من معانٍ)، وهى تفترض فكرة ضمنية ناظرة Regardante. ويعنى هذا استلزامات التركيب، أو الموجه الضمنى أو الاشتقاقى المتولد عنه. والثانى: الموجهات الممكنه والاحتمالية التى تطرح فكرة ناظرة صريحة، ومحورها التراكيب الإضافية والحالية، والتعابير المصدرية، والظرفية، والفاعلية، والمفعولية. والثالث: الموجهات التقويمية: ومرتكزها الرئيس المعجمLexique، ومحورها الخاص العروضProsodie والتنغيم Intonation. والرابع: الموجهات التعبيرية، وهى تضم الظواهر التي تصيب نظام الكلمات القائم كافة، وينشأ عنها التركيب التعبيرى , Syntaxe D, Expressivite التى تشكل جزءًا منه[28].

–إنَّ فكرة استجابة المستمع قد صار لها امتدادات قوية فى نظرية التأويل الأدبى، وهذا يفسر أن قوة المنظوق هى ما يعمد إليه المتلقى، وقد كان ذلك مظهرًا للخلاف بين أوستين وسيرل، فقد رأى الأول أن درجة القوة تتحقق وفقًا لقصدية المتكلم، أما الآخر فقد ذهب أنها حاصلة فى تفسير المتلقى. لكن هولدكروفت HoldCroft ربط القوة بالسياق، وأن دراسة الفعل الكلامى ينبغى أن تكون عملًا لغويًّا اجتماعيًّا؛ ومن ثمَّ فإن تفسير الغرض والقوة يخضعان لفهم صحيح لصيغة المنطوق، وفهم الشبكة الاجتماعية فى آن واحد[29].

–حينما يعدل المتكلم قوة منطوقه إلانجازية، فإنه يدلل على وعيه وتقديره مقتضيات المقام هذا يعنى أن المتكلم يلجأ إلى تعديل القوة الإنجازية لأسباب عدة؛ منها: التعديل من أجل نقل المعنى المرتبط بحال المتكلم تجاه القضية التى يعبر عنهاModel Meaning. والتعديل من أجل التعبير عن معنى تأثيرى Affective Meaning يقصد به التغيير فى سلوك المتلقى من جهة، وتعديل يتطلبه السياق من جهة أخرى[30].

ومن ثمَّ فإن النص البلاغى يعدل فى تركيبه، على النحو الذى يؤدى إلى تثبيت المعنى، بحصول القبول؛ من أجل ذلك وضعت قوانين الخطاب البلاغى، وهى قوانين تمكينية، تتعلق بالمنظومة التواصلية؛ "الأسلوب، والمعنى، والمتلقى"؛ وبذلك يؤدى علم البلاغة وظائفه على جهتين: جهة البنية اللسانية الأصولية، ويشار إليها (مقتضى الظاهر)، وجهة البنية البلاغية المتفرعة، ويشار إليها بـ (جهات البلاغة/ الخروج على خلاف مقتضى الظاهر)[31]. ونلاحظ– على سبيل المثال– أن الفعل الإنجازى يمتلك أغراضًا إنجازية متباينة وفقًا للمقام الذى سيقت فيه، وتتباين وفقًا للقوة التى يُعرض بها غرض إنجازى واحد، وذلك لانحرافها عن أصل وضعها، وظروف النطق هو خير معين على معرفة الغرض منه[32]. فصيغة الأمر تدل على كثير من المعانى والوجوه، مثل: الوجوب، والإباحة، والندب، والطلب، والتهديد، والإرشاد، والدعاء، والنداء، والإنذار، وقد تنتقل

هذه الصيغة لتدل على الشرط، أو التعارض، أو التعريف. وقد مثل محمد العبد بمقولة: "لو دنوت فأصبت معنا مما نأكل" [33]. فى النص السابق نرى أن المنطوق قد امتلك قوة إنجازية متباينة كالآتى:

- لو دنوت، فأصبت معنا مما نأكل! – ادن، فأصب معنا مما نأكل!
- هل تدنو، فتصب معنا مما نأكل؟ – ألا تدنو، فتصيب معنا مما نأكل؟[34].

إن اللغة فى استطاعتها أن تعبر عن المعانى المتعددة بواسطة تلك الطريقة القادرة على تطويع الكلمات وتأهيلها للقيام بعدد من الوظائف المختلفة، وبفضل هذه الطريقة تكتسب الكلمات نفسها نوعًا من المرونة والطواعية"[35]. وقد عرض المنطوق الأول بقوة الأمر، وعرض الثانى بقوة الالتماس، وعرض الثالث بقوة العرض، وعرض الرابع بقوة التمنى. وتكلم السكاكى عن ذلك: "واعلم أن هذه الأبواب الأربعة: "التمني والاستفهام والأمر والنهي" تشترك في الإعانة على تقدير الشرط بعدها، كقولك في التمنى: " ليت لى مالًا أنفقه" على معنى: "إن أرزقه أنفقه"، وقولك فى الاستفهام: "أين بيتك أزرك؟"، على معنى: "إن تعرفنيه أو إن أعرفه أزرك"،...، وقولك فى النهى: "لا تشتم يكن خيرًا لك"، على معنى: "إن لا تشتم يكن خيرًا لك"، وتقدير الشرط لقرائن الأحوال غير ممتنع[36]. وإذا كان الأسلوب "هو الطريقة المختارة للتعبير عن المعنى، فإن لاختيار هذه الطريقة دون غيرها من الطرق الموصلة إلى هذا المعنى يعد مقصدًا معينًا يقصد إليه صاحب الأسلوب، فيجعل العنصر المختار مؤشرًا أسلوبيًّا يشير إلى قصد ما"[37].

مما سبق يتبين أن القوة الإنجازية هى الشدة أو الضعف اللذان يمكن أن يعرض بأحدهما غرض إنجازى واحد، فى سياق بعينه من سياقات استعمال المنطوق. وهناك نوعان من الوسائط التى تؤدى إلى تعديل القوة:

أحدهما؛ ما يمكن تسميته بـ (الوسائل الخارجة عن نطاق اللغة): مثل السلوكيات الحركية، والإشارات الجسدية، وأفعال طقوسية غير لفظية، ولهذه الوسائط أهمية فى صنع الموقف التواصلى، وتظهر أهميتها من خلال مصاحبة أفعال الكلام، مثل: "غمز العين، تقطيب الوجه وعبوسه، ورفع الكتف،.."، ويطلق عليها أوستين:" مصاحبات المنطوق"**Accompagniments Of Utterance**. أو ما يصاحب التلفظ بالكلام ومستتبعاته[38]. آخرهما؛ الوسائل اللغوية، حيث إن ظروف النطق بالعبارة هو الأداة المعينة على معرفة الغرض منها، وهى المظهر الرئيس الذى يعين على التواصل وفهم الخطاب، وتُستخدم فى إضعاف القوة أو زيادتها، وتعكس مدى صدق المتكلم فى التعبير[39].

وقد بيَّن السكاكى دور الطلب فى الفعل الإنجازى مبيّنًا التفاوت بين الطلب بالأمر والنهى، والطلب بالاستفهام فى اتجاه المطابقة: "والفرق بين الطلب فى الاستفهام وبين الطلب فى الأمر والنهى والنداء واضح، فإنك فى الاستفهام تطلب ما هو فى الخارج؛ ليحصل فى ذهنك نقشٌ له مطابق، وفيما سواه تنقش فى ذهنك، ثم تطلب أن يحصل له فى الخارج مطابق، فنقش الذهن فى الأول تابعٌ، وفى الثانى متبوع"[40].

هذا يعنى أن المعنى يتضمن القوة، والقوة وسيلة من وسائله؛ فالمعنى يشمل القوة والغرض الذى من أجله سيق الكلام، وانطلاقًا من ذلك يتضح أن استعمالات اللغة غير محدود من جهة القوة الإنجازية، لكنها تحدد بواسطة الاستعمالات اللغوية التى تؤدى أغراضًا معينة. هذه القوة قد تميل إلى التلطيف إذا كان الموقف يتطلب ذلك، ومثلما تعزز التقوية بالقواطع الأسلوبية فهى أيضا تضعف الملفوظ فيما يسمى بـ (تلطيف الخطابConversation Mitigation)[41]. ويتولد عنه فعلٌ كلاميّ إيجابيّ التأثير، ذو استراتيجية رئيسة فى تطور العلاقة بين طرفي التواصل، فيعمد إلى إضعاف التباين الاجتماعى بينهما، من أجل التواصل بين الطرفين، وتوليد مشاعر إيجابية تهدف إلى التوافق، ومن وسائطها (التذييل، هبوط النغمة، الاعتراض،...)، لكن قد يكون التلطيف أو إضعاف القوة سلبىّ التأثير، حينئذٍ فإن طرفي التواصل يكونان على درجة كبيرة من التباين الاجتماعى. إنَّ تقوية الفعل الكلامى بالإيجابية يعبر عن الصداقة أو الحب، ولكنه إذا كان بالسلبية فإنه يدحض مشاعر الألفة؛ لاعتماده على الانتقاد (بوسائله المختلفة) فى كثير من الأحيان. إن تعديل قوة الملفوظ يهدف إلى توليد معانٍ تأثيرية من جهة، وتنوع المسالك لحمل المتلقى على فعل بعينه أو كفه عنه؛ لذا فإن سيكولوجية تعديل درجة الملفوظ تعدُّ طريقة من طرق تحليل المعنى التأثيرى؛ لتقوية المنطوق أو إضعافه.

وهناك نوعان من القوة الإنجازية؛ القوة الإنجازية الأصل (الحرفية)، والقوة الإنجازية المشتقة (المستلزمة). ويؤشر"دايك" للقوة الإنجازية الحرفية بواسطة مخصص الإنجاز، وتحصر فى أربعة أنواع (الخبر، والاستفهام، والأمر، والتعجب)، أما المشتقة فهى ناتجة عن عملية "النقل الإنجازى"[42]، ويقصد بها خروج الأساليب الخبرية أو الإنشائية على خلاف مقتضاها. ويخالف البحث "فان دايك" فى حصر القوة الإنجازية الحرفية فى أربعة أنواع؛ إذ قد يكون الإنجاز حرفيًّا فى النداء، والتمنى، والنهى، ويلزم فيه الأصل. أما فيما يتعلق بالتمييز بين القوة الحرفية والمستلزمة مقاميًّا؛ فإن القوة الحرفية تظل ملازمة للعبارة فى مختلف المقامات بينما القوة الإنجازية المستلزمة تقترن بالمقام، ولا تتم إلا فى تنوع الطبقات المقامية؛ ومن ثمَّ تأخذ وضعًا ثانويًّا بالنظر إلى الأولى، وتظل على ذلك ما لم تجنح إلى التحجر، الذى قد يكون جزئيًا، حينئذٍ تصبح القوى المستلزمة هى الغالبة، لكن لا تمنع وجود الأولى. أما إذا كان تامًا فتأخذ الثانية مكانها، وتصبح الأولى فى معرض الزوال. وتسلك القوة المستلزمة مرحلتين كما يقول الدكتور المتوكل: مرحلة تنتقل فيها القوة المستلزمة إلى قوة حرفية تماثلها أهمية إن لم تفقها؛ نظرًا لأنها رهينة بمقتضيات المقام. والمرحلة الأخرى تنسحب فيها القوة الحرفية انسحابًا كليًّا تاركةً للقوة المستلزمة التفرد بالتشكيل الإنجازى[43]. وانطلاقًا من هذا فإن العبارة التى يلازمها الاستلزام يضاف إلى قوتها الإنجازية قوة أخرى هى قوة الاستلزام أو الاشتقاق أو التوليد التى أطلق عليها البلاغيون القدامى ألفاظًا متعددة ومتنوعة؛ منها المغالطة، والأسلوب الحكيم، والحيدة والانتقال. ووسمها المحدثون بالانزياح والانتهاك والانحراف و...

المبحث الأول: أثر التشكيل الصوتي في تعزيز قوة المنطوق

يعين سياق الموقف كنه المعنى التأثيرى للملفوظ وفقًا لتعزيز القوة إيجابيًّا، أو إضعاف تأثيرها سلبيًّا. والوسائل التشكيلية أو التطريزية "هى وسائل فونولوجية عندما ينص عليها المتكلم فإنه يدلل على أهميتها ولزومها فى تفسير المعنى، مثل: نوع النغمة، النبر، جهارة الصوت"(44). ويختلف الهيكل التنغيمى الذى تأتى به الجملة الاستفهامية وجملة العرض عن الهيكل التنغيمى لجملة الإثبات، وهن يختلفن عن التراكيب المؤكدة(45). ويستطيع المتلقى أن يحدد المعنى الاستفهامى دون وضع علامة ترقيمية له؛ فكل صيغة لها منحنى نغمى خاص يعين على الكشف عن معناها النحوى، ويبرز معناها الدلالى، وذلك بربط المقاطع التركيبية للجملة المتتالية فيما بينها مما يساعد على تحديد الجملة ونوعها، وطريقة التواصل القائمة بين طرفي التواصل(46). ويأتى دور التنغيم؛ أى أن الخط البيانى الذى يحدثه الصوت، يتنوع فى الحقيقة تبعًا لمعنى المقال، فالتنغيم إذن دال على أنه يركز درجاته المختلفة لكى تزيد وضوح اختلاف المدلولات، ومن هنا فإن الاستفهام يواجه الإخبار ليس فقط على مستوى بناء العبارة، ولكن أيضاً على مستوى تنغيمها"(47). ويظهر من ذلك أن طبيعة الصوت تولد الدلالة، وتتولد قوة الصوت أو إضعافه بتوجيه الغرض، والمعنى مشتمل على كليهما. "فالأصوات تابعة للمعاني –فمتى قويت قويت، ومتى ضعفت ضعفت. ويكفيك من ذلك قولهم: قَطَعَ وقَطَّعَ، وكَسَرَ وكَسَّرَ. زادوا فى الصوت؛ لزيادة المعنى، واقتصدوا فيه لاقتصادهم فيه(48). وقال ابن جنى: "اعلم أنه لما كانت الألفاظ للمعاني أزمة، وعليها أدلة، وإليها موصلة، وعلى المراد منها محصلة عنيت العرب بها، فأولتها صدرًا صالحًا من تثقيفها وإصلاحها"(49). انطلاقًا مما سبق يمكن القول إن الإيقاع بوصفه تشكيلًا جماليًّا تعبيريًّا ينطوى على قيمة تداولية إقناعية؛ لأنه يجنَّد مجموعة من الانفعالات التى ترتطم بالعمق النفسي للمتلقى، ومن ثمَّ تتحقق أعلى درجات القوة الإنجازية وهى فاعلية التأثير.

المحور الأول: القراءات القرآنية وتعديل القوة الإنجازية

تختلف النغمة فى الخطاب القرآنى لا سيما فى القراءات القرآنية؛ مما يبرهن على تولد عدد لا نهائى من الدلالات وفقًا لنوعية القراءة، كما تختلف فى حالة الفصل والوصل بين نغمة مسطحة، ونغمة هابطة، تلك التشكيلات الصوتية هى التى تحدد الغرض، وتعمل على تعديل قوة الملفوظ. هذا يعنى أنَّ "ذهن المتلقى وطبيعته واردة فى جلّ مجالات الدراسة البلاغية من خلال هذا الإطار الإدراكى الذى تحركت فيه"(50). وقد وضح الدكتور أحمد سعد الدور المهم الذى يقوم به عنصر التنغيم وطريقة إلقاء الكلام واستكناه القيمة البلاغية المتولدة من المعرفة الفائقة بفن الأصوات(51)، ويظهر ذلك فى قوله تعالى: {يَاحَسْرَةً عَلَى الْعِبَادِ مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ} [يس: 30]. اختلفت القوة التوجيهية فى الخطاب القرآنى وفقًا لاختلاف القراءة؛ قراءة العامَّة على النصب بإثبات التنوين، وقرأ الأعرج ومسلم بن جندب: "يَا حَسْرَةْ"، ساكنة الهاء، وقرأ ابن عباس والضحاك مجاهد: "يَا حَسْرَةَ الْعِبَادِ" على الإضافة(52).

وتولد القراءة فى تراوح نطقها بين التنوين والتسكين والتطويل دلالات جديدة، تنبع من كيفية النطق، وتعديل القوة، وتوجيه الدلالة، ثم انبناء المعنى، وسوف يوضح البحث ذلك بالتفصيل:

- **قراءة العامَّة بإثبات التنوين فيها ثلاثة أوجه؛**

أولهما: أنها منصوبة على المصدر[53]، على تقدير: يا هؤلاء تَحَسَّروا حسرةً، فأحدث تقوية للفعل الكلام سلبىّ التأثير؛ إذ من شأن هؤلاء الفئة أن تندم وأن يعتريها الغم من شدة الندم ما لا نهاية بعده حتى تبقى الحسرة ملازمة لهم.

ثانيهما: أنها منونةٌ؛ لأنها منادى منكور[54]، والنداء هنا مجاز؛ بتنزيلها منزلة العاقل، وتوجيه النداء إليها تقوية لدرجة الحسرة من جهة، ولإضعاف قوة المتحسر عليهم من جهة أخرى: على معنى (يا حسرة احضرى؛ فهذا وقت ظهورك وحضورك للتحسر على هؤلاء)، وهذا المعنى يشير إلى الاستهزاء بهم، والتقليل من شأنهم، فإن كان من شأن غير العاقل أن يتأتى منه فعل الندم، فكيف بمن منَّ الله عليهم؛ لذا فقد وجبت عليه الحسرة أن تفعل عليهم فعلها. وهذا النداء المجازى قد خرج إلى معنى التنبيه والويل، " يقول الزجاج: نداء العجب تنبيه؛ لتمكن علم المخاطب بالتعجب من فعله[55]". فكأنهم من عظم ما رأوه نادوها وطلبوا إقبالها. ويكون المنطوق تمثيلًا لحال من يكذب أو يقع فى جناية بحال من يرثى قومه له جراء وقوعه فى فساد أرادو منه البعد عنه.

ثالثهما: أن تكون الحسرة عليهم من جانب الذات العلية؛ تعظيمًا لما اقترفوه من ذنوب، فيكون النداء تعجيبًا وإنكارًا لحالهم التى اقتضت ذلك. ويعضِّد ذلك قراءة: "يا حَسْرتا" والمعنى: (يا حسرتِي)، فقلبت الياء ألفًا، ثم حذفت الألف واكتفى عنها بالفتحة. ونصبها؛ لطولها بما تعلَّق بها من الجار[56]. وتكون (التاءُ) لله تعالى، وذلك على سبيل المجاز؛ دلالةً على فَرط هذه الحسرة ودرجة تمكنها.

- **قراءة: "يَا حَسْرَةَ الْعِبَاد" على الإضافة؛ من حيث إنها موجهة إليهم، فتكون الحسرة على ما فاتهم حين يرون عذاب غيرهم. أو تكون ضد ذلك بأن تكون الحسرة مصدرًا مضافًا لفاعله، وفى هذا المقام فهم يتحسَّرون على غيرهم لرؤيتهم العذاب. وقد تذهب الحسرة إلى العمومية بأن تكون مضافًا إلى المفعول فيأتى التحسر من غيرهم عليهم؛ وتأتى القوة الموجهة أكثر فاعلية حين يتأثرون بمعاينة العذاب من غيرهم "وطباع البشر تتأثر عند معاينة عذاب غيرهم وتتحسر عليهم"[57]. ولعل الأوفق للمقام أن المراد نداء حسرة كل من يتأتى منه التحسر ففيه من المبالغة ما فيه.**

- **القراءة بسكون الهاء: "يَا حَسْرَهْ"، فيها وجهان:**

أحدهما: (تعلق الحسرة بـ (على العباد): تقوية للفعل الكلامى؛ مبالغةً فيها، قال ابن جنى: القراءة بـ(الهاء الساكنة) فيها نظر؛ أن العرب إذا أخبرت عن الأمر –غير مُعْتَمِدَتِه ولا مُعْتَزِمَةٍ عليه– أسرعت فيه، ولم تتأن على اللفظ المعبر به عنه[58]. ووجه كلام ابن جنى أن سرعة ذكر اللفظ بالوصل فيه إظهار تهاون حالهم.

آخرهما: أن يكون "حسرة" غير متعلقة بـ"على"، فيحسن الوقوف عليها، ثم تعلّق "على" بمضمر، وتدل عليه "حسرة" حتى كأنه قال: أتحسَّر على العباد[59]. والوقوف على (الهاء الساكنة)؛ أبلغ فى التأوُّه، وأعظم فى إثارة الشفقة، وأشد فى تحريك النفس، وأقوى على البيان وتقرير المعنى. ويصير النداء وعظًا وتنبيهًا، وإيقاظًا وتحريكًا، فزاد الفعل الإنجازى شدة؛ للتطويل فى الوقوف على الهاء، لكن عزَّز جانب المتلقى فى استجابته من

جهة أخرى، فتحول إلى إيجابى التأثير، فجاءت (الصورة بالصاد)؛ لاستعظام الأمر، كأن المتكلم ملك عليه الأمر لفظه وخاطره فأطال فى درجة صوته، تعجبًا واستنكارًا أو إعظامًا وإكبارًا؛ ليتمثل المتلقى الشعور ذاته، فيعمد إلى قراءاته وإيقاظه. فجاء قوة اللفظ لقوة الغرض مُوضحًا، وإليه بطالبه مُفْضِيًّا.

المحــور الثــاني: العــلاقة التــوكيـدية والخــط التنغيمي

إذا كان ارتباط الصيغة بالمقصد والكيفية التى يقال بها تعد جزءًا مما يقال؛ فإن القوة التوجيهية تختلف وفقًا لاختيار الفعل وطريقة توكيده، كما فى قوله تعالى: {قَالَتْ فَذَلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ وَلَقَدْ رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ وَلَئِنْ لَمْ يَفْعَلْ مَا آمُرُهُ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِنَ الصَّاغِرِينَ (32) قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُنْ مِنَ الْجَاهِلِينَ (33) فَاسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ} [يوسف: 32 – 34]. جاء الخطاب القرآنى فى بيان شرف العفة، وتسامى الحسن، وتعالى الجمال واللطف فتحول الخطاب من تبرئة نفسها إلى بيان عفته عن طريق أسلوبية الأمر: (آمـره/ لَيُسْـجَنَـنَّ/ لَيَـكُـونًا)، لِتُرِّيهُن ما تمتلكه من فعل؛ لذا استخدمت إنجازًا صريحًا يكون قادرًا على تحديد ما تريده: (آمره)، فهو أمر ولا شيء غير ذلك، فالأمر فيه يتخذُ مسلكًا واحدًا ومحددًا، ويمكن توضيح ذلك من خلال قولنا: (آمرك بالصبر/ اصبر)، فالفعل الأول لا يحتمل إلا ناتجًا واحدًا فقط، وهو: الأمر بالصبر. أما الآخر فيحتمل تعدد الناتج الدلالى؛ فقد يكون حثًّا أو نصحًا وإرشادًا، أو التماسًا أو رجاءً، أو تهديدًا ووعيدًا وتحوله: (اصبر وإلا سوف يحدث لك كذا). وحذف الجار والمجرور: (ما آمره به)؛ لأنه معلوم؛ لذا عبرت عن مراودتها له بالأمر رغبةً فى الامتثال لأمرها بمقتضى ملكيتها لها. ثم جرى الخطاب القرآنى الإجابة على لسانها بزيادة درجة التوكيد، وكأنها تعلم علم اليقين أن أمرها مرفوض: (لَيُسْـجَنَـنَّ) ثم رتبت على الفعل فعلًا آخر يدل على التحاق المهانة: (لَيَـكُـونًا)، "والنون إن كانت خفيفة كانت بمنزلة تأكيد الفعل مرتين، وإن كانت ثقيلة فهى بمنزلة تأكيده ثلاث مرات"[(60)]، وتفاوت درجات التأكيد؛ إعظامًا للسجن. ورأى الألوسى أن التأكيد جاء فى الأول؛ "لتحققه، والتخفيف؛ لعدم تحققه[(61)]". ويرى البحث أنها تدرجت فى إيلام المحبوب فذكرت أضعفهما إيلامًا ثم أردفت أشدهما عذابًا وهو المهانة والذل. ويحتمل أنها ظنت أن السجن أشد وقعًا وإيلامًا عليه من أن يلحقه الصغار؛ ظنًّا منها أنه عبدٌ لها وأنه فتاها يأتيها حبًا أو كرهًا، وإن كان الأول أشد مشقة، فليأتِ بالفعل الآخر. لكن يوسف عليه السلام قد فنّد هذا الزعم– لعلمه بمن تولت تربيته– فكان اختياره للأشد مشقة، على زعمها، وبالأحرى فإن الأقل شدة منه أكثر حبًا إليه.

وتعديل القوة في الخطاب القرآني جاء ممثلًا في عدة محفزات:

الأول: القسم: (لَئِنْ لَمْ يَفْعَلْ)؛ حيث عمدت إلى تبرئة ساحتها بإعجاب النسوة به أيضا، واستنزال يوسف عن رأيه؛ بإلقاء الخوف فى قلبه عن طريق إعلان تهديدها له؛ أملًا فى مواقعته لها، فأتت بمضاعفة القوة على محضر من النسوة ومسمع منهن؛ حتى ينصحنه ويُرشِدْنه إلى موافقتها.

الثاني: تأكيد الفعل: (لَيُسْـجَنَـنَّ) بالنون الثقيلة، مع البدء به، وتأخير العذاب مع تخفيف النون: ((لَيَـكُـونا)؛ إعلامًا بمدى تمكن حبه من قلبها، فالمحب لا يسعى لإيلام محبوبه، أو جلب المضرة له.

الثالث: أن هذه القوة الإنجازية قد اعتراها اللطف فى التعبير مع ما بها من تأكيد، فالحكم بالسجن فى سورة يوسف كان مخففًا؛ لأنه كان بمثابة التهديد، فقد يكون يومًا أو أسبوعًا أو شهرًا، أيًّا كان فله مدة من الوقت. لكن تضاعف القوة فى قول فرعون مهددًا موسى عليه السلام: {قَالَ لَئِنِ اتَّخَذْتَ إِلَهًا غَيْرِي لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ} [الشعراء: 29]، فقد أفاد تمكن السجن منه، وتمكنه فى السجن، أى تمكن الخبر من المخبر عنه، وكان التهديد أمكن؛ لتعجيزه عن الجهر بدعوته، والحجر على رأيه، وتمكن فرعون من كونه إلهًا بدون منازع. أما يوسف عليه السلام فكان التهديد للحصول على ما تريده؛ لذا دعا ربه بالسجن هروبًا ممن يدعونه إليه.

الرابع: أن زليخة لجأت إلى تقوية خطابها (تقوية القوة مع إيجابية التأثير) بتغيير الجزاء؛ طماعية الرجاء فى الحصول على ما تريد، فقالت فى الوعيد الأول: {قَالَتْ مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا إِلَّا أَنْ يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ} [يوسف:25]. فكانت فى شدة غيظها من امتناعه عنها، بل تنصلها من فعلها كلية، وإلقاء التهمة عليه، فناسب شدة الغيظ ودرجته شدة التغليظ فى العقوبة. أما هنا فأقامت الحجة على إقدامها على فعلها، بل طلب النسوة أن يفعل ما تأمره به؛ لذا جاءت استراتيجية التأثير؛ لتقوية العلاقة بين طرفي التواصل.

الخامس: تم تعديل القوة الإنجازية باقترانها بالدليل، فكلا الاختيارين غير محبوب للنفس؛ الإقدام على اللذة لاقترانها بالمعصية، ودخول السجن مانع من الحرية، وسلب لإرادته، لكن حينما نريد المقارنة أو المفاضلة بين أمرين كليهما بغيض إلى النفس، فاختار من يعلم أن بغضه أفضل من المحرم فعله أو أفضل من المقطوع ببغضه. وقد جاء الخطاب يحمل (قوة الفعل الإنجازى مع إيجابية التأثير)، فدعاء يوسف عليه السلام اقتضى التضرع والتذلل مبالغة فى استدعاء لطفه تعالى. يبرهن على ذلك التعبير بالطلب بإسناده لياء المتكلم: (ربِّ)، واختياره لاسم الرب الذى تعهده بالعناية والرعاية وإصلاح الشأن وتدبير الأمر.

السادس: خروج الخبر إلى معنى الأمر للدعاء فى قوله تعالى: { وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ}، فكأنه قال: [رَبِّ اصْرِفْ كيدهن]، ممثلًا (قوة الفعل الكلامى إيجابى التأثير)، طلب أن يحيل بينه وبين المعصية، بحبسهم إياه على قراءة يعقوب بفتح السين: (السَّجْنُ)[62]، والباقى بالكسر على أنه المحبس. وإذا كان الدعاء بالرب؛ لاستدعاء ألطافه عزوجل؛ خوفًا من تقلب قلبه، فخرج من حوله وقوته معتصمًا بذى الجلال، وكأن لسان حاله يستغيث: (أدركنى وإلا هلكت)، وقد دعا سيدنا محمد بالثبات على الدين والطاعة؛ خوفًا من تقلب القلوب، وفى حديث عائشة- رضى الله عنها-أن الرسول صلى الله عليه وسلم كان يُكثر من قوله: "يَا مُقَلِّبَ الْقُلُوبِ ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ وَطَاعَتِكَ"[63]. وقد أُسندت الاستجابة لندائه عليه السلام: {فَاسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ}؛ لشمولية عنايته، وحفظه لمحبيه مثبتًا إياه على طلبه بالحيل دون المعصية، وصرفهم عنه، معللًا لذلك بكونه سميعًا؛ لتضرعه واستغاثته ولوذه بربه، عليمًا بما يخالج صدره، مقويًّا درجات الفعل، بالفاء الدالة على سرعة الإجابة، والمبالغة بزيادة المبنى التى تدل على زيادة المعنى فى لفظة: (استجاب) بدلًا من (أجاب)، والقوة الضاغطة بأدوات التوكيد (إن، ضمير الفصل، تعريف طرفى الإسناد)، تحقيقًا للقوة والغرض اللذين من أجلهما سيق المنطوق. ويتضح مما سبق أن الفعل الكلامى قائم فى إنجازه على التواصل الأفقى- من جهة يوسف عليه السلام- القائم على وجود علاقة عرضية لا ترحب بالتواصل، ولا تدعو إلى الاستمرار، وأنه قد تداخل فيه النوعان؛ الفعل الإنجازى الحرفى والاستلزامى.

المبحث الثاني: أثر الوسائل المعجمية في تعديل القوة الإنجازية

تتنوع الصور التى تزيد قوة المنطوق وفقًا لما تُوَجه إليه هذه الصور ذاتها؛ فقد تكون وسيلة تقوية، أو تلطيف (إضعاف) وفقًا للسياق التى وردت فيه، وقد أطلق عليها جان سيرفونى "اللكسيمات"، وهى نوع من التوازي القائم بين تشكُّل الجملة وبين استخدامها بوصفها ملفوظًا(64). ويتنوع التوجيه كالآتي؛

– التوجه إلى (المتكلم)، وهى العناصر التى تشير إلى صدق المتكلم أو ثقته بملفوظه، ويكثر ذلك فى الموقف الاتصالى القائم على التفاعل المباشر، ويُلاحظ فيه "القواطع الأسلوبية"، مثل:" سأعمل جهد الإمكان، بصراحة، أؤكد، أجزم، أعتقد، أدوات التوكيد، والأفعال الدالة على اليقين.

– التوجه إلى (المتلقى)؛ وهى تشير إلى معرفة المتلقى وعلمه بالملفوظ بإشارة صريحة أو ضمنية؛ لتصنع خلفية مشتركة بين طرفي التواصل، يكثر فيها ألفاظ مثل: "أنت تعرف، أنت تعلم، بالطبع، القسم، يقينًا، جازمًا، التوكيد،... "؛ لتعلن هذه العناصر عن إزالة الشك والتردد عند المتلقى. وقد تمتلك هذه الوسائل قوة المخالفة فتعمل على إضعاف المنطوق وإنقاصه بدلًا من تقويته وتعزيزه، والسند– فى ذلك– الموقف التواصلى، وطبقة التنغيم، وتغيير الأسلوب مثل: أشك، أزعم، أخال، أظن، أرجح.

– التوجه إلى المحتوى القضوى،؛ لإثبات صحة القضية التى يعبر عنها، ومنها؛ "لا نزاع، لا جرم، حقًا، لاريب، بالإضافة إلى الطبقة التنغيمية، والعناصر البؤرية التى تتخذ هيئة الظرف، أو الجار والمجرور، مثل: على الإطلاق، بالكامل، على وجه الاحتمال)(65). وتكلم القدامى عن زيادة درجة الملفوظ أو إضعافه سواء باللفظ ذاته كما أشار العسكرى فى تفرقته بين السب والشتم، والمكر والكيد(66)، أو زيادة قوة الملفوظ وإضعافه عن طريق إطالة الصوت وزيادة الصفة أو العكس كما أظهره ابن جنى(67).

وسوف يوضح البحث ذلك عن طريق محورين:

المحور الأول: القواطع الأسلوبية وتعضيد القوة المشتقة (المستلزمة).

تشير القوة الإنجازية الحرفية إلى (مخصص الإنجاز، وجود مقتضى ظاهر الخطاب)، أما المشتقة فهى ناتجة عن عملية "النقل الإنجازى/ الخروج على خلاف مقتضى ظاهر الخطاب. وقد وظَّف الخطاب القرآنى التقريرى والأدائى القواطع الأسلوبية (حقًا، يقينًا، أعلم، لا جرم، لا ريب، الضاغطة التوكيدية بأنواعها)؛ لكونها علاماتٍ دالة على تقوية الخطاب، ووسيلة تعضدية تتطلب تعديل فى درجات القوة؛ لتوجيه الغرض الذى يعد أحد وظائفها، ولا يمكن تحديد تلك القوة إلا من خلال المعنى، والفهم للمنطوق، والمقام الذى سيق فيه.

ومنه قوله تعالى: {رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ (8) رَبَّنَا إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ لِيَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ} [آل عمران: 8، 9]. توجَّه الخطاب إلى الذات العليّة حاملًا التضرع والدعاء متمثلًا فعلًا كلاميًّا إيجابيّ التأثير يحمل من درجات القوة؛ الدعاء المقرون بالنهى والغرض منه الثبات، وقد وظف النهى: (لا تزغ) بدلًا من الأمر: (ثبت قلوبنا كى لا تزلنا الشبهات)؛ لأن النهى يقتضى الحتمية والاستمرار فى الكف، أما الأمر فقد يكون نسبيًّا، وأمر القلوب نسبى متقلب، وفى الحديث: "إِنَّ قُلُوبَ بَنِي آدَمَ كُلَّهَا بَيْنَ إِصْبَعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ الرَّحْمَنِ، كَقَلْبٍ وَاحِدٍ، يُصَرِّفُهُ حَيْثُ يَشَاءُ" ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "اللهُمَّ مُصَرِّفَ الْقُلُوبِ صَرِّفْ قُلُوبَنَا عَلَى طَاعَتِكَ" [68]. وقد قرن النهى بالتطلف: (بعد إذ هديتنا)، وإسناد الهدى لله عزوجل زيادة فى الرجاء، وتحقيقًا فى بشارتهم بعدم زواله بعد عطيته.

وإذا كان النهى أكثر قوةً وإمعانًا من الأمر فى السياقات التى تقتضى الاستمرارية فى الكف فقد عقب بالأمر عاطفًا إياه على النهى: (وهـب لنا من لدنك رحمة)، موظفًا الفعل (وهب) الدال على الدوام. فـ" أَوهَبَ الشيءُ إذا دام"[69]. ثم خصص الهبة الدالة على المبالغة فى العطاء الخالية عن الأغراض والأعواض بالتتميم: (من لدنك)؛ بغية فى الزيادة، وطماعية فى الرجاء. وإذا كان هذا شأن الهبة فقد زادها درجات بتقديم المتعلق عليها؛ تشويقًا لتلك الزيادة التى تتطلبها النفس الإنسانية، منونًا إياها؛ للتفخيم: (رحمــةً). وقد زادها سعةً بالتنكير، فالرحمة مطلقة تتضمن الدعوة التى ابتدأ بها الخطاب؛ عدم الزيغ والثبات على الحق، والرحمة مطلق الإحسان والإنعام.

وإذا كانت اللفظة القرآنية تعرض النفوس البشرية، وتنطق بما فى منعطفاتها النفسية، وتشارك التصوير في مهمته، إذ تحل محله لتؤدى مغزاها المحدد لها، ولتكون وافية بحق الأهداف السامية التى يرمى إليها القرآن"[70]؛ فإن الخطاب القرآنى وظف جمالية التذييل التعليلى زيادةً فى محتواه القضوى، مع قوة الموجه إليه: (إنك أنت الوهاب)، وهو ما يسمى (التذييل ذو الاستقطاب المتماثل Matching Polarity Tags). ويحمل وظيفتين؛ الأولى ترديدية، كأن المعنى تمَّ تكريره(هــب ← الوهاب)، والأخرى تفسيرية تعليلية: (هــب← لأنــك)؛ وقد جاء ذلك تعليلًا لسؤالهم وقوة طلبهم فأنتج تضرعًا وتذللًا من الذات السائلة الراجية تجاه الذات المتكلمة؛ لذا وجهت القوة إلى المحتوى القضوى من جهة، وإلى الوهاب المتفضل بالعطايا من جهة أخرى بقصر العطاء عليه. وإذا كان السائل موقنًا مقرًا بقدرة من يلوذ به، مفوضًا أمره إليه فقد نال إجابته وفاز بها.

تظهر تعديل القوة الإنجازية فى الطلب التالى بزيادة قوة الرجاء (قوة الفعل الكلامى مع جانب حال التلطف والتضرع الملتبسة بالسائل)، (ربنا)؛ لتعجيل الإجابة بصفة الربوبية المشعرة بالإنعام، والتى من شأنها تلطف الرب بالمربوب فى جميع أحواله؛ لذا جاءت مقرونة: (إنك جامع الناس ليوم لا ريب فيه)؛ فاليوم هو يوم (الجزاء/ الحساب) وقد حذف وأقيم المضاف مقامه؛ تهويلًا لما يقع فيه. ثم زيد فى الوسائل المعجمية بالوصفية؛ تقويةً للمحتوى القضوى: (لا ريــب فيــه)؛ إيمانًا وتسليمًا واطمئنانًا بأحوال الآخرة من جهة،

وتقوية داعى الإجابة من جهة ثانية. وقد حقق السائل مطلوبه بالجملة التعليلية المظهرة ضعفه أمام مربوبه: (إن الله لا يخلف الميعاد)، مؤكدًا لمحتواها بالضاغطة الأسلوبية: (إن)، وإظهار الاسم الإعظم: (الله)؛ لإظهار كمال الجلال المناسب لذكر اليوم بما فيه من رهبة وتخويف. وهو تقرير لكون الألوهية تنافى ذلك، يقول الزمخشرى:" الإلهية تنافى خلف الميعاد، كقولك: إن الجواد لا يخيب سائله"[71]. ويظهر التقرير فى الآية التاسعة من سورة آل عمران، وتختلف قوة المحتوى باختلاف السياق، فنرى فى الآية الرابعة والتسعين بعد المائة: {رَبَّنَا وَآتِنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَى رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ} [آل عمران: 194]. ومع أن كلا السياقين دعاء، إلا أن الدعاء فى أول السورة يظلله الخوف، إضافة إلى ذلك أن الملفوظ : (إن الله لايخلف المعياد) قد يكون تأمينًا على كلامهم من الله تعالى. وقد يكون من تمام كلامهم. أما فى آخر السورة يغلفه الشعور بالإنعام مختلطًا بشعور التضرع والابتهال، يدعم هذا قوة الدعاء وتواليه فى أربع آيات موجهًا قوتها إلى الخطاب:(خَلَقْتَ، سُبْحَانَكَ، رَبَّنَا إِنَّكَ، آمِنُوا بِرَبِّكُمْ، فَاغْفِرْ، وَكَفِّر، آتِنَا، وَعَدْتَنَا، رُسُلِكَ، وَلَا تُخْزِنَا، إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ). هذه القوة تزيد الغرض توجيهًا فى إنجاز دعائهم، لا سيما أنهم استخدموا أمرًا إنجازيًّا غير مباشر يتضمن أغراضًا عدة؛ لتوسيع دائرة الإنعام المطلق: (الهداية، الثبات، الزيادة، الإحسان،...)، وهذا يختلف عن دائرة الفعل (أدعوك أن تغفر لنا، أو أن تكفر عنا، أو ألّا تخزنا،...)، فهذه الدائرة تتوجه إلى إنجاز ملفوظ له غرض موحد صريح. ويتبين أن الفعل الإنجازى فى هذه الآيات جاء استلزاميًّا قائمًا على (التواصل العمودى) الذى يهدف إلى التضرع والتذلل؛ بغية إجابة الدعاء.

المحور الثاني: القوة الموجهة والفعل التأثيري المعلن عنه

تتمظهر أبعاد القوة الموجهة فى إعلان الفعل التأثيرى صراحة، من خلال إضفاء مظاهر الواقعية على الهدف النهائى والنتيجة التى حصل عليها كل فريق، وهى إن صح القول، تنسيق متقن للأحداث، ونتيجة بديهية لأعمال الأشخاص، تجعل الفعل الكلامى لكل شخص يرمى إلى النهاية المطلوبة أو المتوقعة. يظهر ذلك فى قوله تعالى: {وَنَادَى أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ أَنْ قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا قَالُوا نَعَمْ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ أَنْ لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ} [الأعراف: 44]. جاء الخطاب القرآنى فى سياق الإخبار عن حال أهل الدارين فى الدنيا، وما سيؤول إليهم أمرهم، فأُخبر –عن حالهم فى الآخرة– بالفعل الماضى: (نَادَى، قد وجدنا، ما وعدنا، وجدتم، وعد، قالوا، أذن)؛ لتحقق وقوعه يقينًا.

وجاء الفعل الكلامى إيجابى التأثير يحمل من درجات القوة: (قوة الماضى فى الإخبار، الأدوات التوكيدية، التقوية بالقاطعة الأسلوبية/ حقا مع تكرارها، التصديق فى موضع الإجابة، الاحتباك، الإظهار فى موضع الإضمار). وقد عبر عن النداء من أهل الجنة بالفعل: (نادى)؛ إشارة إلى بلوغة الأسماع، وتمكنها فيها، ثم جاء بتفسير النداء موظفًا (أن المخففة)، مستعملًا خبرها فى إظهار حال المؤمنين وما عليهم من نعيم؛ مقارنةً بغيرهم تحسيرًا وتهكما: (قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقًا)، مؤكدًا القوة بحرف التحقيق، والفعل الماضى، والنصب

على المصدرية؛ تقويةً للمحتوى القضوى من جهة، وقوة المتكلم ومضاعفة إيجابيته من جهة، ومن ثمّ عمد المتكلم إلى ذكر ما ألفوه حقيقة، مع بيان حالهم فيه، متوجًا ذلك بالوعد الدال على إنجاز الفعل بما فيه من نعم لا تعد ولا تحصى، موجزًا ذلك فى (ما الموصولية) المخبرة عما أُسبغ عليهم من النعم، وعلى الصعيد الآخر مشيرًا عما نالهم من النقم. وقد ذكر مع الفريق الأول مع حذف مع الآخر: (ما وعدكم) للإيجاز، أو للاحتباك، فمقام الغبطة يقتضى البسطة والترسل، ومقام الحسرة يستدعى الانقباض نفسًا وقولًا.

وتزداد قوة المتكلم بالسؤال التوجيهى الذى يخرج عن كونه سؤالًا إلى الإخبار والإقرار بحالهم: (فهل وجدتم ما وعد ربكم حقا)، أو لبيان فساد معتقدهم. وهنا يأتى الجواب: (نعم) عن قصدية من المتكلم؛ ليظهر حال محتواهم القضوى السلبى المقرون بإضعاف درجة القوة: (نعم)، تحسرًا واعترافًا يقوى هذا الشعور لديهم لفظة (الوعد بديلًا عن الوعيد)، وحذف مقتضى التصديق أو الجواب: (نعم وجدنا)؛ للمقارنة بين الحالين، حال من يتلذذ فيطنب فيما يتنعم فيه. وحال من هو فى الكدر متلبس فيه.

وتتضاعف درجات القوة بخروج الأسلوب الخبرى إلى معنى الطلب: (أذن مؤذن بينهم أن لعنة الله على الكافرين)، والخبر مستعمل فى الدعاء عليهم بالبعد عن الرحمة؛ تيئيسًا لهم، وتحقيقًا لخلودهم فى العذاب، وكأن الآذان صار إعلامًا عن هلاكهم. ثم أعلن عنهم بالإظهار: (الظالمين) بدلًا من الإضمار: (أن لعنة الله عليهم)؛ لأن الوصف بات لقبًا لهم سواء فى محياهم أو مماتهم؛ لذا عبر عنه باسم الفاعل الدال على استمرار ملابسة ظلمهم لأنفسهم.

أما كون (أنْ) مفسرة ورفع (لعنةُ) في قراءة نافع وأبي عمرو وعاصم، أو (أنّ) فى قراءة ابن كثير، وابن عامر، وحمزة، والكسائي أو(إنّ) فى قراءة الأعمش[72]؛ فالمراد من المفسرة أو المخففة الإعلام عن حال الفريقين بقرينة ذكرهم من جهة، وقرينة ذكر المقارنة: (بينهم) من جهة أخرى. والتقدير: إضمار اسمها: (أنه لعنةُ الله). وفيها قوة اتصال ما قبلها بما بعدها. يقول ابن جنى: "واتصال المفتوحة باسمها وخبرها اتصالان؛ أحدهما اتصال العامل بالمعمول، وآخرهما اتصال الصلة بالموصول. ألا ترى أن ما بعد المفتوحة صلة لها؟ فلما قوي مع الفتح اتصال أن بما بعدها لم يكن لها بدٌّ من اسم مقدر محذوف تعمل فيه[73]. وقراءة الكسر على إرادة القول، فكأن المؤذن أذَّن قائلًا: (إنَّ لعنةَ الله على الظالمين). أو أنها جاءت بعد تمام الكلام فى قراءة: (أنّ لعنةَ).

والبحث يرجح كونها خفيفة لمذهبين؛ الأول: لقوة اتصالها بما قبلها فكأن حالهم صار واللعنة سواء. والآخر: أن حجة التخفيف قوله: {وَنُودُوا أَنْ تِلْكُمُ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ} [الأعراف: 43]، وقوله تعالى: {وَنَادَوْا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ} [الأعراف: 46].

المبـــحث الثـــالث: الوســـائل التـــركيبيـــة وتعـديـــل القـــوة الإنجـــازيـة

يقصد بالوسائل التركيبية طرق نظم المنطوقات وبناء الأساليب، ويظهر ذلك جليًّا فى الأساليب الإنشائية، والتبليغات التذييلية، وعلم المعانى بصفة عامة. ويتناول البحث تلك الظاهرة من خلال ما يأتى:

المحـــور الأول: التـــذييل ذو الاستقطـــاب المتنـــاظر :Contrastive polarity Tags

يخرج الأسلوب الاستفهامى عن وظيفته الأولية، ويضيف–حينئذٍ – قوة إيجابية إلى قوة المنطوق، لا سيما أن محتوى القضية معلوم مسبقًا لدى طرفي التواصل، ففى قوله تعالى: {أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ} [الأنعام: 53]، يخرج الملفوظ من وظيفته الأولية إلى الوظيفة الثانوية؛ ليقرر المستمع الاعتراف بحق المنعم عليه، أو التعريض بمن ينكر ذلك، وقد حمل التركيب التذييلى الاستفهامى وسيلة إضافية لتزويد المحتوى القضوى بقوة إنكارية تعجبية كامنة فى الاستفهام. إلى جانب قوة الفعل الكلامى المتطلب الإجابة: بلى الله أعلم بالشاكرين. وهو ما يطلق عليه (التذييل ذو الاستقطاب المتناظر) الذى يعلن عن نغمة تصاعدية تحمل المتلقى على الإقرار بمضمون الجملة من جهة، وإضافة قوة بنائية (ليست ترديديه) للمعنى من جهة أخرى.

*ومن أمثلة قوله تعالى: {أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ وَيُخَوِّفُونَكَ بِالَّذِينَ مِنْ دُونِهِ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ (36) وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُضِلٍّ أَلَيْسَ اللَّهُ بِعَزِيزٍ ذِي انْتِقَامٍ (37)} [الزمر: 36 – 37].

- جاء الخطاب القرآنى فى تكذيب المشركين لرسول الله، وتحذير المسيئين من تخويفهم رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقد روى أن المشركين كانوا يقولون:" لتكفن عن شتم آلهتنا أو لنأمرنها فلتخبلنك"[74]. وقد أظهر قولهم هذا استفهامًا منفيًّا؛ لإنكار كفايته سبحانه لنبيه ولأوليائه، فبُنِى على الإنكار، وكأن الكفاية ظاهرة وواضحة بحيث لا يستطيع أحدٌ إنكارها؛ لذا أُثر لفظة: (عبده) دون (رسوله)، فشأن السيد أن يحمى عبده من أن يتطاول عليه، مع تفخيم المضاف لما أُضيف إليه. أما قراءة حَمْزَة وَالْكسَائِيّ على الجمع:(عباده)[75]؛ فيكون المعنى على التأسى بمن سبقه من الرسل، فكما كفى الأنبياء من قبل فهو كافيك. قال الفراء: "همّت أمم الأنبياء بهم، ووعدوهم مثل هذا[76]". وقد درج هذا الأسلوب على ألسنتهم. فقالوا لشعيب: {إِنْ نَقُولُ إِلَّا اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوءٍ قَالَ إِنِّي أُشْهِدُ اللَّهَ وَاشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ} [هود: 54]. والبحث يرجح كون الخطاب بالمفرد لقوله تعالى: {وَيُخَوِّفُونَكَ بِالَّذِينَ مِنْ دُونِهِ}، ولفظة: (عبده) تحتمل الإفراد والجمع.

وتمثلت القوة الإنجازية في عدة محفزات:

- الإنكار الإبطالى، وهو يستدعى أن مدعيه كاذب. فأفاد الاستفهام المنفى إثبات الكفاية وتقريرها، وإنكار من يدعى ذلك. وقرئ: (بكافى عباده) على الإضافة. ويكافى عباده، ويحتمل أن يكون غير مهموز مفاعلة من الكفاية، وهو أبلغ من كفى؛ لبنائه على لفظ المبالغة[77]. وأدخلت (الباء) فى الخبر مشددة للنفى مؤكدة له، فالباء تؤذن بالنفى، وتعلم أن أول الكلام منفى فى الخبر مشددة للنفى مؤكدة له[78].

• التقديم والتأخير؛ إذ الأصل التركيبى للكلام: (ويخوفونك بالذين من دونه أليس الله بكافيك؟). وقد لا يوجد فيها تقديم وتأخير وتكون (الواو) استئنافية، أو حالية، وهو ما يرجحه البحث؛ إذ قوله تعالى: {أليس الله بكافٍ عبده} صار مثلًا لكل من يخوف أولياء الله. والغرض التوجيهى التهكم والسخرية من تخويفهم رسل الله ممن لا يقدر على دفع المضرة أو جلب النفع لنفسه؛ لذا أوثر التعبير بالموصولية (الذين)؛ إما لكثرة إطلاق الاسم على الأصنام وشيوعه، أو لُعُبَّادِهَا بطريق الأحرى.

• حذف المفعول الثانى للكفاية؛ إذ الأصل: (أليس الله بكافٍ عبده أذى المشركين)؛ فأتى بالحذف لعمومها، أى أذاهم وأذى غيرهم كافة.

• الالتفات بالخطاب:(عبده ← ويخوفونك)؛ إذ لفظة (عبده/ عباده) كما جاءت فى القراءات آنفًا؛ لعموم كفايته لأوليائه. أما قصدية الخطاب–هنا– متجهة قصدًا إلى سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم بسياق نزول الآيات؛ لذا رجح البحث توجه الضمير بالإفراد إلى الرسول صلى الله عليه وسلم.

• الاعتراض بالعكس[79]: (ومن يضلل الله فما له من هاد. ومن يهدِ الله فما له من مضل). ومن جمال العكس أنه يربط بين أمرين، ويعقد بينهما أوثق الصلات أو يظهر أشد ألوان النفور[80]، فقد أشار إلى نفى الاهتداء عنهم أصلًا وموضوعًا بنفى وجود الهادى أصلًا وموضوعًا؛ إذ الضلال راسخ ومتمكن فى طباعهم يستحيل نزعه أو اقتلاعه. وكأنهم صاروا مغيبين عن الهدى. يقول ابن منظور: "أَضْلَلْت الشيءَ إذا غَيَّبْتَه، وأَضْلَلْت المَيِّتَ دَفَنْته"[81]. وزاد المحتوى قوة بتقديم: (له)، وبالتنصيص على نفى جنس الهادى بـ(من)، كما أن النفى بـ(ما) يوازى التوكيد بـ (إنّ)، يقول المبرد:" (ما زيد قائم)، فقلت: (إن زيدًا قائم)، فأدخلت (إنّ) فى كلامك تحقيقًا بإزاء (ما) النافية فى كلامه"[82]. و(ما) نافية للحال وما لم يَقع"[83]. أما آية سورة الأعراف فقد وظَّف السياق القرآنى: (لا النافية) التى تفيد النفى فى الاستقبال؛ لاستمرار النفى: {مَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَلَا هَادِيَ لَهُ} [الأعراف: 186]. ودللَّ أيضًا على نفى جنس الهادى بمباشرة (لا) النافية للجنس؛ على هذا فإن تخصيص النفى بـ (ما) فى هذا الموضع اقتضاه طبيعة التخويف الآنية التى اصطنعها هؤلاء، وإزالة المضرة أوجب فى الزمن المرتبط به. أما آية سورة الأعراف: {أَوَلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ وَأَنْ عَسَى أَنْ يَكُونَ قَدِ اقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ } [الأعراف: 185] ، فقد جاءت فى دعوتهم للتدبر فى ملكوت السموات والأرض، وما خلق الله، فقوبل إعراضهم وضلالهم بنفى الهداية عنهم مستقبلًا، وكأن الضلال ضُرب على جباهم، وغُرس فى قلوبهم، وصار منهجَ تفكيرهم، فأصبح ملازمًا لهم؛ حتى انتفى وجود هادٍ يضىء لهم الطريق، فانطفأ عنهم نور الهداية. وهذا يدل على أن كل سياق وجَّه القوة والغرض المكملين للمعنى وفقًا لما يستدعيه ويتطلبه.

• وجه الخطاب القرآنى القوة إلى المحتوى القضوى السابق الذى صار مثلًا لمن يضرب على رأسه الضلال، بمثل آخر لمن تلازمه الهداية، فهى لديه مكين أمين قائلًا: {ومَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُضِلٍّ}. وقد جاء على نسق القوة الموجهة لمحتوى المثل الأول الذى ذُكر فى القرآن أربع مرات: {وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ}[84]؛ إذ انقسم العالم إلى قسمين؛ فريق حق عليه الهدى، وفريق حق عليه الضلال. هاتان الجملتان بمثابة الضابط أو القانون الذى يسير عليه العالم؛ لذا صرح باسم الله الأعظم فى كلتيهما، مع إمكانية ووضع

المضمر موضع الظاهر فى الثانية؛ لكن الخطاب القرآنى وظَّف ذلك على سبيل الاستعارة التمثيلية. وهما اعتراض بين قوله تعالى: {أليس الله بكافٍ عبده} وقوله تعالى: {أليس الله بعزيز ذى انتقام}؛ لبيان أن كلا الفريقين ينضح بما جُبل عليه، وما كان لديه فى قرار مكين.

●الترتيب المعنوى فى تقديم: {وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ}؛ على قوله تعالى: {ومَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُضِلٍّ}؛ حيث إن تقديم الضلال على الهدى مناسبٌ للفظة (يخوفونك) حال من قاموا بترهيب الرسول وأتباعه فجاء أولًا بما يناسب فعلهم، فوسمهم الخطاب بالضلال أولا، ثم بثّ الطمأنة فى قلوب الذين آمنوا بالتذييل الجامع المانع: {ومَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُضِلٍّ}.

●يختم الخطاب القرآنى بالتذييل المبنى على الاستفهام المنفى (ليعلل لبدايته)؛ وكأن سائلًا سأل: كيف يكفى الله عبده؟ فأجاب بحقيقة مسلم بها بوجود القرائن والأدلة: (إن الله عزيز ذو انتقام)؛ لذا أظهر الاسم الأعظم الله؛ لتحقيق مضمون ما وُجِّه إليه الخطاب كلية من هذه المعانى: (إن الله هو الولى، وهو النافع، والصمد، والمستغاث به وقت الحوائج، وهو الهادى، وهو الغالب على أمره،...). وقد عمد بهذا التذييل إلى إعادة المحتوى الذى سبق تنشيطه، بتنشيط محتوى جديد جامع لتلك المعانى والدلالات (عزيز ذو انتقام). وإذا كان التذييل قد بثَّ السكينة فى قلب رسول الله وأتباعه، فهو موجه للفئة الأخرى بالتبعية، لكنه يحمل قوة التهديد المولدة من لفظة العزيز، ومن الوصفية: (ذو انتقام)، لكل من يؤذى رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقد قوى ذلك بمستتبعات التركيب: (الاستفهام الإنكارى، الإظهار، ذكر العزيز، ملازمات الوصفية).

المحـــور الثـــاني: القـــوة الحجـــاجيـــة والتواصـــل الأفقـي والعمـودي

ترتبط القوة الإنجازية بالوظيفة التفاعلية؛ إذ الغرض الأسمى منها هو الفعل التأثيرى الذى هو الجوهر الرئيس لتعديل القوة. وهناك نوعان من التواصل؛ التواصل الأفقى الذى يقوم على علاقة عرضية قد لا يرغب الطرفان فى استمراريتها. والتواصل العمودى الذى يمهد لإقامة علاقة تهدف للاستمرار لهدف ما[85]. ويعمد المتكلم إلى تقوية الفعل الكلامى إيجابى التأثير؛ لإقامة علاقة تواصل بينه وبين المخاطَب، وللإبقاء على تلك العلاقة يعدل من منطوقه فيلجأ إلى (التقرير، الإنكار، التذكير،...، الاحتراس، التتميم، التقديم والتأخير، ...). يتضح ذلك فى أسلوب فرعون مع موسى عليه السلام؛ لإقناع الطرف الثانى بالتغاضى عمّا جاء من أجله، فلجأ إلى الاستفهام التقريرى؛ لإعطاء فترة زمنية ومساحة مكانية لمخاطِبه، يدلل على ذلك أسلوب الاسترسال المتبع، واتهامه لموسى عليه السلام بالكفر؛ تمنيًّا منه أن يشغله بتلك القضايا. أما سيدنا موسى فقد استخدم (تقوية الفعل سلبى التأثير).

ومن ثمَّ فإن الأسلوب يحمل أيضًا عنصرًا إيجابيًّا للقوة الموجهة للمتكلم فى سياق يقتضى إقامة تواصل عمودى من جهة طرفى الخطاب، وهو ما يطلق عليه (تقوية الفعل الكلامى إيجابى التأثير)؛ لسيكولوجية مبتغاها تطور العلاقة بين المتكلم والمخاطب، واختيار الإيجابية–هنا– ضرورة يقصدها المتكلم؛ لردم هوة الانشطار بينه وبين المخاطب، فيعمد إلى تقريره بما يستوجب خطابه، وبما يحقق أهدافه. لكنه فى نفس

السياق يعمد المخاطَب (موسى عليه السلام)، إلى اختيار(تقوية الفعل الكلامى سلبى التأثير)، لعدم الرغبة فى إقامة هذا التواصل، ومن ثمَّ عمد إلى التواصل الأفقى. هذا يدل على أن مفهوم القوة الحجاجية مرتبط بالطبقة الحجاجية، لكن التواصل بنوعيه؛ الأفقى والعمودى يحكمان تعديل الدرجة بالقوة أو التلطيف.

ويظهر ذلك فى قوله تعالى على لسان فرعون: {قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ (18) وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ الَّتِي فَعَلْتَ وَأَنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ(19) قَالَ فَعَلْتُهَا إِذًا وَأَنَا مِنَ الضَّالِّينَ (20) فَفَرَرْتُ مِنْكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْمًا وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُرْسَلِينَ (21) وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ أَنْ عَبَّدْتَ بَنِي إِسْرَائِيلَ} [الشعراء: 18 : 22].

عدل المتكلم (فرعون) بـ (القول المضمر؛ لماذا يطرح هذا السؤال فى هذا السياق؟) عن إبطال دعوة موسى عليه السلام إلى التذكير بنعمة تربيته له من جهة، والتذكير بالجرم الذى اقترفه من جهة أخرى. وغرضه من عدم مواجهة عقيدته، وتذكيره- بما كان منه- سببان؛ الأول: التخويف والترهيب فله من الذرائع ما يبرر قتله. والآخر: التلطف فى الخطاب؛ لمعرفة درجة قوة المخاطَب، والحجج والبراهين التى يتسلح بها، فيعمد إلى تفنيدها. فوظف الفعل الحجاجى المبنى على الإقناع؛ لتوجيه المتلقى إلى أمرٍ يقصده، وصرفه عن الداعى الذى جاء من أجله.

ومن الممكن تفصيل ذلك كالآتي:

•الاستفهام المبنى على النفى: {أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا}، وهو على وجهين؛ إما تقرير، وإما إنكار. وعلى الوجه الأول: أراد أن يذكره بأنه مُرَبَى فيهم، وبناء عليه، فلهم عليه حقوق بموجب تلك التربية، أولها حق الطاعة، حتى إذا ما سلم المخاطب وأقر بما يلزم الإقرار به؛ وجب عليه المعاملة بالمثل، لا بالجحد والنكران. وعلى الوجه الآخر، وهو كون الاستفهام إنكاريًّا، يستلزم ذكاء المتكلم وبراعته فى توجيه الجحد إليه مسبقًا، فكأن حالك وهيئتك تنكران ما منَنا به عليك من نعم، فكيف يُقابل الإحسان بالإساءة، والبر بالعقوق، والنعمة بالنقمة، وهل جزاء هذه الأشياء إلا بالمثل؟. هذا التلطف بالتقليل من درجات قوة المتكلم، مع قوة محتواه يعتمد على الذكاء الاجتماعى فى فحم الخصم، وردّ دعواه عليه؛ لذا عدد الامتنان عليه أولًا.

وقد استخدم مستتبعات التركيب الآتية:

•الظرفية المجازية الحالية: (فينا)؛ أى فى بيوتنا أو منازلنا؛ للدلالة على أنه نفرٌ منهم، أسبغوا عليهم نعمه منذ ولادته التى تتطلب الرعاية والاعتناء، ثم استدرك بعد ذلك فترة كبيرة من المرحلة العمرية عبَّر عنها (ولبثت فينا من عمرك سنين)، مع تكرار فترة المكث والظرفية التى تدل على تمكن المحبة على الصعيدين. فالتعبير بلفظة: (لبثت) يدل على مشاركة الطرفين المحبة، وعلى وجود الشعور النفسى بالارتياح فى العيش معهم؛ نظرًا لشعوره بمحبتهم. وقد حمل الخطاب التدرج فى الإقناع بتوظيف لفظتى:(وليدًا ← مبلغ الرجال (لبثت فينا من عمرك سنين).

•التتميم فى قوله: (من عمرك)، ويجوز فى غير التركيب القرآنى الاستغناء عنها، ويكون: (ولبثت فينا سنين)، لكنه آثر ذكرها؛ لتذكرته بأنه تربى فيهم فى مراحل عمرية متعددة، فقد شهدوا نموه، وترعرع فيهم، فوجب عليه ما يوجب الابن على أبيه.

●التقديم والتأخير: قدم (لبثت فينا من عمرك سنين)، والأصل التركيبى: ← (ولبثت سنين من عمرك فينا)؛ إذ الغرض من الخطاب الدلالة على قوة المحبة، وكأنه ظرف ومظروف؛ لذا كرر (فينا)، وكأنه يريد أن يقول له: أين ثمار ذلك؟ نحن ننتظر ثمار محبتنا وتربيتنا ورعايتنا لك، فهل تقابلها بعكس ذلك؟.

● ثم اتجه الخطاب مُعنفًا ومعظمًا جرم المخاطَب؛ للإقرار بفعله: {وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ الَّتِي فَعَلْتَ وَأَنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ}. وهو من باب التهويل والتفخيم؛ لذا عبَّر عن قتله القبطى بالاسم الموصول؛ لشناعة ما ارتكبه؛ فالأمر الذى جاء به لا يستطاع تحديده بوصف مهما بولغ فيه؛ لذا وسمه بكفران النعم التى امتن عليه بها. يقول الراغب: "ولمّا كان الكفران يقتضى جحود النّعمة صار يستعمل فى الجحود،...، ولمّا جعل كل فعل محمود من الإيمان، جعل كلّ فعل مذموم من الكفر"[86]. وقد وصف (الفِعلة)، بكسر (الفاء/ فِعْلَتَكَ) فى قراءة الشعبي؛ كناية عن الحال التى تكون عليه[87]. وقال العكبرى هى بالكسر تعنى:" الْمَأْلُوفَةِ مِنْكَ"[88]؛ لذا يرجح البحث مع هذه القراءة كون الواو للحال؛ أي قتلت النفس وهذه حالك المذمومة، فاتجه فرعون لبيان الصفة والهيئة متعمدًا تشويهها؛ مستدلًا على ذلك بإتيانه بالمشبوه من الأفعال، مقيمًا عليه الحجة بأن من كان هذا حاله وديدنه فلا يستبعد عليه نكران النعم. أما قراءة الجمهور: (فَعْلَتَكَ) بفتح الفاء، فهى من قبيل "مصدر المرة"؛ لبيان عدد وقوع الفعل؛ إذ لم يقدم موسى عليه السلام على هذا الفعل إلا بوكزة واحدة لم يكررها، ولم يعلم نتائجها، يدعم هذا "قراءة عبد الله: (قال فعلتها إذًا وأنا من الجاهلين)[89]". ومن يرجح هذه القراءة يقوى رأيه بأن الضلال والجهل قد يكونان بمعنى واحد، لأنك تَقُولُ: جهلت الطريق وضللته. قَالَ الفراء: إِذَا ضاعَ منك الشيء فقد أضللته[90]". ثم أنه أقر بنفسه فى القراءة المثبتة: { وأنا من الضالين}، ولم يضع السياق القرآنى لفظة (الكافرين): (المتكلم: وأنت من الكافرين/ المخاطب: وأنا من الضالين) فبرأ ساحته من الكفر؛ إذ لا يناسب ذلك قوله تعالى: { فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْمًا وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُرْسَلِينَ}، فقابل ذلك بضلاله بأن تلك الوكزة الواحدة قد تسبب ذلك.

أما سيكولوجية الجواب فقد تضمنت قوة توجيهية أكثر درجة من التى استخدمها فرعون؛ حيث إن موسى لم يشتغل بالرد على السؤال بالجواب المباشر بل عمد إلى حجة أبلغ تتمثل فى الآتي:

●اللف والنشر المشوش، فقد جاء أولًا بالإجابة على قتل القبطى معرضًا عن تربيته إياه، وهذا لا يعنى الإنكار، موظفًا اللفظة ذاتها التى استخدمها خصمه: (فَعلتها): لينفى تأثير المتكلم السلبى عن نفسه، ويعلن هو عن رباطة جأشه بتوظيف القاطعة الأسلوبية (الجواب) الدالة على التوقيت الزمنى: (إذا/ إذن، والنون حرف أصلى)؛ والمعنى: فعلتها الزمن الذى فعلته فيه، فلِمَ التذكير بها الآن؟، وقد تكون (جزاء)؛ للإثبات بأنه فعلها، وللإقرار والاعتراف بذلك، والمعنى: أنى أقرُّ بذلك ولا أخاف من إقرارى هذا، فنفى عنه الكذب. ثم وسم نفسه بالضلال عما سيؤول إليه أمر هذه الوكزة، فما كان إقدامه عليها إلا من قبيل التأديب. فاحتج موسى عليه بأن فعله لا يوجب المؤاخذة، ومع ذلك اقتضى هذا الفعل الفرار من جبروتكم. فكأنه قال له: وأى نعمة تمنُّها علىَّ وقد فررت من تخويفكم، فكونك مسيئًا لى أوجب من كونك منعمًا؟ فأثبت ألّا نعمة عليه بل أقام عليه حجة سبب الفرار.

●ثم عمد الخطاب من جانب آخر إلى بيان أن الفرار لم يكن عقابًا بل أسفر عن هبة الله لبعض عباده، وإنعامه عليهم بالحكمة والعلم والنبوة: {فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْمًا وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُرْسَلِينَ}، والهبة عطاء غير محدود، والجعل التمكن فى الشيء، فكأن الرسالة تمكنت منه، وتمكن هو منها، فردّ عليه بدفع الحجة البالغة التى تعمد فرعون إثباتها عن طريق تشنيع جرمه من جهة، ودفع أن يكون له يدٌ عليه من جهة أخرى.

●إذا كان فرعون استخدم الفعل الكلامى إيجابى التأثير؛ لداعى التلطف؛ فإن موسى عليه السلام عمد إلى الفعل سلبى التأثير؛ لزيادة الهوة واتساعها بين طرفى الخطاب، سواء فى الفعل أو المعتقد، فقد وظف اللف المشوش مجيبًا عن سؤاله: (أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ؟ ← وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ أَنْ عَبَّدْتَ بَنِي إِسْرَائِيلَ؟) وبه دحض للحجة، ونفى للمحتوى القضوى الذى عززه فرعون بتوجيه درجة القوة وشدتها البلاغية كالآتى:

●أبطل موسى عليه السلام حقيقة النعمة التى ادعاها فرعون، بل صيَّرها إلى نقمة، وهل النعمة هى عبودية القوم وإذلالاهم، فقد كان سبب إذلالاك قومى بتعبيدهم، وذبح أبنائهم هو السبب فى تربيتك لى؟ وهل هذا يعدُّ امتنانًا وإحسانًا؟. وإذا كنا عبيدك فهل يمنُّ السيد على عبيده؟، فلا منة للمولى على العبد فى عطائه وإطعامه. وهنا تصير النعمة التى قصدها المتكلم نقمة، فقد كان المخاطَب فى غنى عن هذه التربية وعن هذا الامتنان إذا لم يقع هذا الظلم على قومه؛ لذا عبر عنها باسم الإشارة للبعيد: (وتلك نعمة تمنُّها؟)؛ دلالة على جرم وشناعة ما ارتكبه فرعون تجاه قومه، ثم جاء بالإفراد فى لفظة: (تمنها/ عبَّدت)؛ لإسناد المنّ والإذلال إليه. يقول الفراء: قد تكون (أن) رفعًا ونصبًا. أمّا الرفع فعلى قولك: (وتلك نعمة تَمُنّها عليّ تعبيدُك بني إسرائيل). والنصب: (تمنُّها عليَّ لتعبيدك بني إسرائيل)[91]". ويقوى البحث الرأى الأول؛ لأن الرفع حال يقين المتكلم من منطوقه، أمَّا النصب فمردوده تضاؤل يقين المتكلم.

●يجوز أن يكون التركيب حدث فيه الحذف، والتقدير: (أو تلك نعمة)[92]؛ على التبكيت، والهمزة مقدرة[93]". وتكون الجملة الاستفهامية مسوقة لإنكار النعمة، والحاصل أن تقريعه وتوبيخه على نكران النعمة ما هو إلا ظلم وافتراء؛ لأنها فى البدء ليست نعمة، وكيف تصير العبودية والقتل والذبح واستباحة الأعراض نعمة؟!. والمعنى: أن حقيقة النعمة هى (تعبيد بنى إسرائيل). ثم ذكر لفظة: (بنى إسرائيل)، ولم يذكر(قومى)، والأصل التركيبى: (أو تلك نعمة تمنها علىّ أن صيرت قومى عبيدًا؟). وكأنه وقف موقف المدافع أو المحامى الذى اتخذ موقف النزاهة سبيلًا فأقام المرافعة بينه وبين خصمه منتزعًا العصبية والتعصب تجاه ذويه، فأطلق عليهم: (بنى إسرائيل)، ولم ينسبهم إلى نفسه. بل جاء الاسم تذكيرًا لفضل يوسف عليه السلام على مصر؛ بإحياء النفوس بفضل الله أولًا، وعتق رقابهم ثانيًا. فأفحم الخصم بأبلغ الوجوه ذمّا وتعجيزًا، وتعنيفًا وتقريعًا؛ لذا أوثر: الإشارة (تلك)؛ لتضمنها مالا يعد من الجرائم التى ارتكبها فرعون فى حق بنى إسرائيل؛ ومن ثم حِيد عن الجواب بسؤاله هروبًا وتجاهلًا: (وما رب العالمين؟). يتضح مما سبق أن الفعل الكلامى القائم بين موسى عليه السلام وفرعون قائم على (التواصل العمودى من جهة فرعون فى بداية الأمر، وقائم على التواصل الأفقى من جهة موسى بعدما تبين له أنه عدوٌ لله).

المبـــحث الرابـــع: الوســـائـل الخطـابيـــة وتعـزيـز قـــوة الملفـــوظ

الوسائل الخطابية "وسائل ما وراء العملية التداوليةMeta Pragmatic devices، هذه الوسائط تحقق سبكًا نصيًّا داخليًّا من شأنها تعزيز دلالة الملفوظ، ومن هذه الوسائل:

المحـــور الأول: تعيـــن الفعـــل الأدائـــي

يقصد بها تعيين الأفعال الأدائية بصورة ظاهرة/ صريحة دالة على الغرض من المنطوق(94)، هذه الأفعال الإنجازية تهيئ الجملة مسبقاً لإنجاز فعل محدد(95). مثل: (أسألك، أخبرك، أحذرك، أعوذ بك، ألجأ إليك، أعظك)، وقد يخلو من صريح الأداء؛ معتمدًا على دور السياق فى إنتاج الدلالة، نحو: (هلك الظالمون)؛ أى أدعو عليهم بالهلاك. ويلجأ المتكلم إلى تعيين ملفوظه صراحة؛ للتقرير أو التأكيد أو الوضوح، أو لتحديد المراد. وقد جاء تعيين الفعل الأدائى فى القرآن الكريم فى مواضع عديدة؛ منه قوله تعالى: {قَالَ يَانُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلَا تَسْأَلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ } [هود: 46] جاء الخطاب القرآنى فى سياق تنبيه نوح عليه السلام أن يسأل الله ما ليس به علم، فبدأ بتحقيق القول وتأكيده؛ ليوقع نبرًا خاصًا على قوة الملفوظ الإنجازية بتعيين الأفعال الأدائية كالآتي:

- **(قال يا نوح) للتنصيص على القول، وللإعلام بما تؤذن به الجمل التالية من أخبار لا مراء فيه؛ لذا أنزل نوح عليه السلام منزلة المتردد: (إنه ليس من أهلك)؛ لإلحاح نوح عليه السلام فى الدعاء بالرحمة والمغفرة لابنه: {وَنَادَى نُوحٌ رَبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنْتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ} [هود: 45]. والنداء فى هذه الآية جاء على سبيل المجاز؛ للدعاء بأن ينجي الله تعالى ابنه من الغرق؛ لذا أقدم بالأسلوب الخبرى المبنى على الاعتذار: {إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي}، وهنا خرج الفعل الكلامى إلى حيز غير مباشر للتمهيد إلى سؤاله؛ ليظهر حالة المتكلم فى إقدامه على السؤال أيدرى القبول أم لا؟**
- **نفى ما تقدم إثباته من لدن نوح عليه السلام: (إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي← يَانُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ)؛ أى أنه ليس من الذين كتب عليهم النجاة؛ نظرًا لعمله المذموم، وأثره غير المحمود، وقد عبّر بالأهل، والمراد صلة القرابه فى الدين لا الدم. وفى حديث أسامة بن زيد أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال: "لاَ يَرِثُ المُسْلِمُ الكَافِرَ وَلاَ الكَافِرُ المُسْلِمَ"(96)؛ لذا علل انقطاع أثره عن نوح عليه السلام بقوله: (إنه عمل غير صالح) مؤكدًا مضمونها لتأكيد ما سبق عليها من نفى كونه من أهله. ثم جعله عين العمل: (إنه عمل)؛ ومن ثَمَّ فإن قراءة (الرفع)](97)، على أنَّه اسمٌ أُخْبر به عن (إنّ)، ورفع (غير)؛ اتباعًا له على البدل، تحتمل عود الضمير فى (أنه) إلى ابن نوح عليه السلام. أو إلى أن سؤال نوح ربه عمل غير صالح.**
- **الحجة لمن فتح: أنه جعله فعلًا ماضيًّا، وفاعله مستتر فيه، وغير منصوب؛ لأنه وصف قام مقام الموصوف. ومعناه: [أنه عَمَل عملًا غيرَ صالح](98)؛ وتدل قراءة الفعل أنه باشر السوء وعمل به، ومن كانت هذه خصاله وجبت البراءة منه؛ لذا وسم العمل بـ (غير الصلاح)؛ إذ لا فائدة مرجوة منه. مبالغة فى مداومته على الفساد، فلما كَثُرَ إقدامه على الباطل من الأعمال وُصِف به، فجعلت نفسه عين العمل غير الصالح. وهذا**

يرجح عود الضمير فى (أنه) إلى ابن نوح عليه السلام. لكن قد يؤول: (أن سؤال نوح حين أقدم على سؤال ربه بدون علم عمل عملًا غير صالح). وقد تكون القراءة بالجر على تقدير: (ذو عمل) على حذف المضاف، وعلى ذلك يكون عود الضمير إلى ابن نوح عليه السلام. وهذا يدلل على اختيار القرآن لألفاظه، فلم يقل: (إنه عمل فاسد)؛ لسببين؛ الأول: أنه حينما نفى عنه عدم أهليته كان لنفى الصلاح عنه، فلم ترجَ معه الأبوة. والآخر: أن من نجى من أهله كانت نجاتهم لعملهم الصالح، وليس صلة القرابة الأهلية هى وازع النجاة.

●إذا كانت قراءة الرفع جعلت ابن نوح عليه السلام عين الفعل المنهى عنه؛ فقد رجح البحث أيضًا قراءة فتح اللام فى قوله: { فَلَا تَسْأَلَنِّ}[99]؛ لإرادة تأكيد نهى نوح عليه السلام أن يسأل ما ليس له به علم. "وقد يكون النهى عن الإلحاح أو العود إلى سؤاله، أو نهى عتاب، وقد يكون نهي تنزيه لأمثاله لأن درجة النبوة تقتضي ألّا يقدم على سؤال ربه سؤلًا لا يعلم إجابته"[100]. وقد يكون النهى صريحًا، وأيًّا ما كان فالمقصود تنزيه نوح عليه السلام عن تعريض سؤاله للرد.

●إذا كانت الدلالة القرآنية تستجيب لحضور القارئ (التداولي) فى زمنه الخاص؛ فلأنها دلالةٌ صائرة وليست منتهيةً، ومهاجرةٌ فى الزمن وليست ثابتةً فيه، وحيةٌ متحركةٌ وليست ساكنةً"[101]؛ وقد وظف الخطاب القرآنى غرض المنطوق الإنجازى صراحة فى قوله: (إنى أعظك)؛ دلالة على كون النهى فى قوله: (لا تسألن) نهيًّا صريحًا؛ لذا وظف ملفوظًا محددَ الدلالة تأكيدًا لما تعاور النهى من انفتاح الدلالات، وللامتناع عن السؤال بدون علم؛ فنوح كثر نداؤه لابنه ودعاؤه لربه؛ لغلبة عاطفة الأبوة عليه، يظهره المحتوى القضوى: (وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ، يَابُنَيَّ ارْكَبْ مَعَنَا، فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي، وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ)؛ ومن ثمَّ قابله مقابلة صريحة: (أن تكون من الجاهلين). وأريد بالنداء إرادة النداء[102]، ولو أريد النداء نفسه لجاء بـ(الفاء) كما فى قول زكريا: {إِذْ نَادَى رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيًّا (3) قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي} [مريم: 3، 4].

●يؤكد تعيين الأداء – هنا – مجموع الأفعال الإنجازية المباشرة العمودية القائمة على الاعتراف بالذنب، والدعاء بالمغفرة فى قوله تعالى: {قَالَ رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُنْ مِنَ الْخَاسِرِينَ} [هود: 47]. جاء الفعل الإنجازى هنا يحمل إيجابية التلطف فى الدعاء والاعتذار من جهة، وعلى تبرئة نوح عليه السلام من نسبة الجهل إليه؛ فحينما وعد الحق تعالى بنجاة أهل نوح عليه السلام: { قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا مِنْ كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ} [هود: 40]، لم يكن على علم بما يَكِنّ ابنه من كفر حتى يدخل فى الفئة المستثناة: {إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ} [هود: 40]؛ لذا ألحَّ فى سؤال ربه. وحينما تبين له الحق أذعن إلى الله عزوجل باللوذ والاعتصام مطالبًا العفو عن زلة السؤال بغير علم، موظفًا الفعل الإنجازى المباشر: (أعوذ، أسألك، تغفر، ترحم، أكن)، ناتج هذه الأفعال توجيه النهى عن الامتناع مستقبلًا فى قوله تعالى: (إنى أعظك). للدلالة على أن هذا الأمر مكروه؛ لذا عطف السؤال على العوذ مع تكرار (ما ليس لك به علم← ما ليس لى به علم)؛ إظهارًا وتلقينًا لما نهاه الله عنه. وقد جمع الخطاب بين الزمن الاستباقى فى عزمه ألّا يعود إلى ذلك، والآنى فى طبيعة اعتذاره عليه السلام، والماضى فى ندمه عما بدر منه، فجمعت بين العزم والترك. وقد يقتضى تعيين الفعل الخروج عن مقتضى الظاهر، بخروج الغرض وتعيين الفعل، أو خروج الغرض والفعل غير معين، وأقصد بالأخير(الأسلوب خبرى لفظًا، إنشائى معنى).

المحـــور الثـــاني: الإعـــادة المبـــاشـــرة للعنـــاصـــر (التكـــرار الكيميـــائـي)

ويطلق مصطلح التكرار الكيميائي[103] فى الخطاب القرآنى على "الإعادة المباشرة للعناصر"[104]، ويظهر ذلك من اللفظة ذاتها؛ حيث تفرز إيقاعاتٍ ذات تناسب صوتى ودلالى من خلال توزيع الكلمات على مواقع وترتيبها ترتيبًا يتولد عنه استثارة المتلقى، والتأثير فى نفسيته. "وإذا كانت وحدات المنطوق التركيبية تتماسك بحكم ترابطها الداخلى الذى تنتظم به العلاقة فيما بينها، فلا شك أن التكرار أهم الوسائط التى تؤدى إلى ذلك، ومن ثم يؤدى إلى دعم التماسك فى النصوص"[105]. وهو وسيطة من وسائط الترابط النصى، يَقِصد إليه المتكلم؛ لتقوية المنطوق وتعزيزه. فـ"الكلام إذا تكرَّر تقرَّر، وزاد المتلقى تنبيهًا؛ إرادة التوكيد والإفهام"[106]. كما أنه وسيلة للقوة الموجهة إلى المخاطَب؛ حيث يعمد المتكلم إلى شحن محتواه القضوى؛ لينقل القارىء من الرتابة إلى الاستثارة، ومن المتوقع إلى اللامتوقع. وقد يكون وسيلة يلجأ المتكلم إليها؛ للاستدلال والبرهان على ما هو منكور أو مستبعد حدوثه أو سيلة إرهاصية يكون الحكى عن طريقها بداية جديدة، لا سيما حينما يخالف فى البدايات فيكرر المقطع فى قصص دون أخرى كما فى سورة الشعراء.

وقد جاء التعزيز بالتكرار فى الخطاب القرآنى فى مواضع عدة؛ سواء كان بالحرف أو بالكلمة، أو بالتركيب. ولكل موضع خصوصيته، الأمر الذى يجعل لكل سمة تكرارية طابعها فى كل سياق وردت فيه. ولا أدل على ذلك من التكرار التركيبى الذى جاء تعقيبًا فى قوله تعالى: {إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ. وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ} ثمان مرات فى سورة الشعراء، أو التكرار الإرهاصى فى السورة ذاتها؛ حيث ورد فى بداية خمس قصص منها: {وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ}، وخلو هذا المقطع من قصتى إبراهيم وموسى عليهما السلام؛ لاستحيائهما طلب الأجر وفى جملة المخاطبين من قاما بتربيتهما. هذا التكرار الذى يخترق مبدأ التسلسل والتواتر (القراءة الاستمرارية/ القراءة التعاقبية[107]) يفسح المجال من حين لآخر إلى محطات يتوقف عندها الدفق النغمي المتصل. "إنه عبارة عن تصدٍّ مؤقت يعترض سبيل استرسال المضمون النغمي[108]".

كما عمد الاستفهام التكرارى إلى تعزيز قوة الملفوظ فى سورة النمل: {أَإِلَهٌ مَعَ اللَّهِ} فى خمسة مواضع فى بيان حكمته وعلمه ومباينته للأصنام فى قدرته وحلمه، يسبقها الاستفهام الإرهاصى مكررًا بتكرارها: ({أَمَّنْ}؛ لكن يعظم معناه بقوة اختلافه من موضع لآخر باختلاف الجمل المبنية عليه، فقد جاء فى الموضع الأول: {أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُنْبِتُوا شَجَرَهَا أَإِلَهٌ مَعَ اللَّهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ} [النمل: 60]؛ استدلالًا بأن القادر على بدء الخلق قادر بالأحرى على إعادته، ممثلًا بالبرهان الماثل للعيان بعملية الإنبات فهى أدل على إحياء الموتى؛ لذا عقب بالاستفهام التكرارى المبنى على إنكارهم ألوهيته بل عدولهم عنه سبحانه وتسويته بغيره بما لا يملك لنفسه ضرًا ولا نفعًا؛ بلفظة: (يَعْدِلُونَ) بدلًا من (يشركون)، فقد وقع الإنكار للتوبيخ والتبكيت والتقريع؛ لتفرده تعالى بالخلق والتكوين، والبدء

والإعادة ومع ذلك يجعلون له شريكًا فى العبادة، وكأن المعنى: [أإلهٌ مع الله فى صفاته حتى يَعْدِلُونَ به غيره؟!). أو قد يكون التقدير: [أمَّن خلق السماوات والأرض كمن لم يخلق] من باب التشبيه المسلوب، منزوع الصلة بين الطرفين. وقد جاء الحال فى المواضع الأربعة الآتية مع اختلاف المضمون؛ لتنوع الاستدلال والبرهان، مظهرًا اسمه الأعظم: (الله) مع إمكانية إضماره فى تلك المواضع؛ للحمل على الإقرار، وتحقق حكمه فى خلقه، وتفرده بالألوهية والصمدية المستوجبة لجميع صفات الكمال، المستتبعة لنعوت الجلال.

وفى الموضع الثانى: {أَمَّنْ جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَالَهَا أَنْهَارًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيَ وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا أَإِلَهٌ مَعَ اللَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ} [النمل: 61] ذكر ما هو أقرب من أحوال المكان المعيش، فقد جعل الأرض مستقرًا، وثبتها بالأوتاد، وجعل فيها مجارى للأنهار والبحار؛ ثم جعل بينهما حاجزًا بعذوبة أحدهما وملوحة الآخر، فلا عدوان ولا بغى؛ وإن كان من شأن الماء السيولة والاختلاط إلا أن المانع منه طبيعة تكوينهما. هذه القدرة تستدعى تكرار السؤال مرة أخرى لكنه مبنى على جزئية مشتقة من القدرة فى الموضع الأول؛ حيث المجموع الكلى للقدرة المطلقة. ومن ثم نفى العلم عنهم؛ لبطلان ما هم عليه من الشرك مع كمال ظهوره.

ثم ذكرهم فى الموضوع الثالث: {أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ أَإِلَهٌ مَعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ} [النمل: 62] بلازم النفس المطبوعة على اللوذ والاحتماء لمن له القدرة على ذلك، موظفًا صيغة (المضطر)؛ لافتعال الضرورة، معرفًا إياها؛ للجنس، فهو سبحانه يجيب كل من يلجأ إليه. ويحتمل أن تكون (ال) للعهدية؛ بقرينة توجيه الخطاب إليهم، فحينما كانت تعتريهم نوازل الدهر كان المرجع والمغيث هو الله سبحانه، لا أصنامهم العاجزة عن حماية نفسها. ويرجح البحث الاحتمال الأول. ثم وجَّه القوة بالأفعال الدالة على التجدد والاستمرار؛ لما يعترى النفس المؤمنة وغيرها من تغير فى الأحوال، فهى فى عوز دائم، موظفًا التتميم القائم على الشرطية: (إذا دعاه)، مقدمًا دفع المضرة: (يكشف السوء)؛ لأنها أولى من جلب المسرة. ثم انبناء السؤال الإنكارى على مضمون تلك الجزئية التى تقتضى الإيمان، وتدحض الكفر والعصيان، لكن مع ذلك قليلًا – وإن وجد – ما يتذكر هؤلاء الفئة فضل الله عليهم، وأن الأصنام لا تضر ولا تنفع، ولا تملك الشفاعة ولا الإجابة؛ لذا أكد بـ (ما) مع تكرار الإنكار المبنى على انعدام التذكر. وبنى التذييل على ذلك؛ لأن النفس إذا تذكرت صارت فى حالة انكشاف ووضوح فتتوجه بالتبعية إلى خالقها، ومن له القدرة على حمايتها.

ثم بنى الاستدلال فى الموضع الرابع: {أَمَّنْ يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَنْ يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ أَإِلَهٌ مَعَ اللَّهِ تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ} [النمل: 63] على أعظم صور الاضطرار؛ وهو اللوذ واللجوء إلى الهادى الذى يهديهم فى ظلمات البر والبحر، ثم ذكر سببًا صريحًا فى الهداية؛ وهو إرسال الرياح، أو أنَّ الخطاب القرآنى أطلق الرياح على المطر تسميةً للمسبب باسم السبب، منكرًا عليهم بعد ظهور الأدلة السماوية

والأرضية، ولجوء النفس إلى الاحتماء بخالقها بتكرار الاستفهام المبنى على الإنكار والتقريع والتبكيت مقرونًا بما يجب أن يكون: (تعالى الله عما يشركون)؛ لإظهار العظمة بطريق العلو والتنزيه عن أية مقارنة.

وجاء الخطاب القرآنى فى الموضع الخامس: {أَمَّنْ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَمَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَإِلَهٌ مَعَ اللَّهِ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ} [النمل: 64]؛ ليظهر عظمة الترتيب من (الأعم إلى الأخص)، ثم العود على ما بدأ به من تقرير حقيقة الخلق، والبدء والإعادة؛ ليبرهن بالشاهد على الغائب، وبالمرئى على اللامرئى بقوله: (ومن يرزقكم من السماء والأرض)، فطبيعة الرزق دليل ساطع، وبرهان قاطع؛ لذا ختم الآية بما يقتضيها من قوة توجيهية بالأمر الدال على التهكم؛ لإبعادهم فى الضلال: (قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ)؛ مسندًا البرهان بقوة التوجيه إليهم؛ (للانعدام)؛ لذا أُسند ضمير الخطاب إليهم، معلقًا الشك فى استطاعتهم؛ لعدم الصدق فى معتقدهم. وبناء الأسلوب فى المواضع الخمسة بناء على (تشبيه النفى أو السلب)، فكأن المعنى: أفمن يخلق كمن لا يخلق، أفمن يجعل الأرض قرارًا كمن لا يجعل، أفمن يجيب المضطر كمن لا يجيب، أفمن يهدى كمن لا يهدى، أفمن يقدر على الخلق والإعادة كمن لا يملك...). فجاء(تعيينًا) لنزع صلة الشبه بين الطرفين؛ فلا صلة حتى يُعقد التشبيه، ولا مقارنة حتى يوجد الطرفان، ولا تشابه فانعدم وجود وجه الشبه.

المحـــور الثـالث: القـوة الإنجـازيـة وقـوة الروابـط الحجـاجيـة

إن صفة النص الأساسية هى الاستمرارية، وهى تعنى التواصل والتتابع والترابط بين الأجزاء المكونة للنص. وبصيغة أخرى تعنى: "أن فى كل مرحلة من مراحل الخطاب **Discourse** نقاط اتصال **Contact** بالسابقة عليها، وهذه الاستمرارية تتجسد فى سطح أو ظاهر النص **Surface text**"[109] . ويُنجَز الاستمرار عن وسائط لتبليغ المقصود على نحو أبلغ، تمتلك تلك الوسائل قوة المعارضة، وتجعل المنطوق يحتمل أن يكون إنشائيًّا أو خبريًّا، مثل: "بينما، على الرغم من، إذن، بموجب ذلك،.."[110]. وإذا كانت الروابط هى جملة من الأدوات يوظفها المتكلم؛ ليربط مفاصل الكلام؛ فإن العلاقة الحجاجية تتأسس عند اختيار المتكلم للرابطة التى يرتكز عندها المعنى[111]؛ لتضطلع الحجة المعتمدة بدورها كاملًا فى تأدية الهدف المطلوب. وتتمثل العناصر الرئيسة للعلاقة فى قول الانطلاق: [معطى/ مقدمة منطقية]، وقول الوصول: [خلاصة، حاصل]، وقول العبور: [اقتضاء، دليل، حجة]، ويمكِّن من اجتياز قول إلى آخر[112].

وتستند هذه الوسائل إلى مرجعيةٍ ثابتة فى عقل المتلقى، وهى: معرفته التراكمية بالعالم، وبأنساق الترتيب التى تحكمه، ولكنه يكون مصحوبًا بنتائج التأويل مختلفًا من زاوية تداولية[113]. وهى نوع من الحشو الوظيفى التى تعزز قوة المنطوق وتؤكده، ومظهر من مظاهر التماسك النحوى **Grammatical Cohesion** "[114]. ووسيلة من وسائل السبك **Cohesion** التى تسهم فى كفاءة الصياغة"[115]. هذا يعنى أنَّ مجمل العلاقات بين الكلمات فى ترتيبها البنائى تؤكد أن معانى النحو هى المعانى التى تنبثق من التفاعل بين البلاغة والوظيفة فى الجملة المؤلفة"[116].

وقد حظى مصطلح "الربط" بمكانة عالية عند العلماء، وبلغ من قوة الأمر فى ذلك أنهم جعلوه حدًا للبلاغة، فقد جاء عن بعضهم أنه سئل عنها فقال: "معرفة الفصل من الوصل" ذاك لغموضه ودقة مسلكه"(117). وتدخل فى تلك الروابط ما يسمى بـ (الروابط السببية Casual Conjunction)، الدالة على الحال أو الملابسةCondition / Circumstance (روابط الإضافة Additive Conjunction) ووظيفتها تكملة الكلام السابق. أو روابط المخالفة Adversative Conjunction وهذان النوعان من الروابط لهما علاقة بالموقفSitution، والوسيط Medium، والتأثير المقصودIntended Effect، ولا ينفصل الحشو الوظيفى عن الترابط، فكلما زاد الحشو زاد الترابط(118). ولكن البحث يؤكد أن زيادة الترابط لا يتولد عن الحشو، بل قد تخلو الجملة من الحشو الوظيفى وبها أعلى درجات الترابط، فالربط يتحدد بنوع تجانس تعالق الأحداث، ويحكمه مبادىء السبق، واللحوق، والتعاقب. ولا أدلّ على ذلك من (سورة الصمد)؛ حيث خلت الجمل الثلاث الأولى من علامات الربط الخطية، اعتمادًا على الترابط بين الآيات، فكونه إلهًا يستلزم كونه أحدًا، وكونه أحدًا يستدعى كونه صمدًا، والألوهية والصمدية يلزمان أنه لاشبيه له ولا نظير؛ لذا سيقت لمعنى وغرض واحد؛ وهو نفى المماثلة عنه تعالى بوجه من الوجوه.

ويتناول البحث التعالقات التي تعزز المنطوق مبيّنًا درجة شدتها من خلال نقاط ثلاث:

الأولى: الإضــافـة السببيــة وتعـزيـز قـــوة المنطـــوق

إن البنية الداخلية للملفوظ، وما يتمتع به من تنظيم وما يسوده من علاقات، تساعد على اكتشاف ما فيه من خصوصية وفرادة. يخلق هذا التميز كيفية ترتيب العناصر وتوزيعها وتماسكها؛ إذ تضيف كل جملة لاحقة إلى سابقتها محتوى جديدًا، ليتبلور الملفوظ باعتباره وحدة شمولية متسقة. هذا الاتساق يقوم على التتابع الذى أحد مقوماته الرئيسة الأدوات الرابطة بمختلف أنواعها. وهذه الأحداث أو المكونات ينتظم بعضها مع بعض، تبعًا للمعانى النحوية، ولكنها لاتشكل نصًا إلا إذا تحقق لها من وسائل السبك ما يجعل النص محتفظًا بكينونته واستمراريته"(119). وكل أداة داخلة على جملة؛ لإفادة معنى الجملة فهى رابطة تقوى بها الصلة بين كل المفردات الداخلة فى حيزها(120) .

ومن هذه الأدوات حرف السببية (إذن) فى قوله تعالى: { قُلْ إِنِّي نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ قُلْ لَا أَتَّبِعُ أَهْوَاءَكُمْ قَدْ ضَلَلْتُ إِذًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُهْتَدِينَ}[الأنعام: 56] جاء الخطاب القرآنى فى تعليم الله تعالى لنبيه عليه الصلاة والسلام كيفية ملاطفة عباده؛ بمبادرة الرسول صلى الله عليه وسلم بإلقاء السلام عليهم، مُذكِّرًا إياه؛ لما يعتريه بعض الخسران بملازمته للإنسان الذى دأب على عمل السوء، لكنه قرنه بالرحمة كتابًا مفروضًا من الله، ووعدًا محققًا؛ معللًا لذلك بغفرانه ورحمته. ثم بين السياق التَّبَرّي من عبادة غير الله، مظهرًا عاقبة المجرمين، ناهيًا رسول صلى الله عليه وسلم من اتباع أهوائهم أو نهج طريقهم، موظفًا ذلك بالأسلوب الصريح المعتمد على التواصل الأفقى القائم على المعارضة فى الاستمرار كالآتى:

- توالى الأمر والنهى فى قوله: (قُلْ إِنِّي نُهِيتُ)؛ حيث إن المنطوق الأدائى ينجز به الفعل أثناء النطق به، ويقترن فيه النطق أو القول بأداء الفعل وإنجازه؛ لذا وجَّه الله تعالى الأمر- إلى نبيه- صريحًا مصحوبًا

بتوكيد النهى فى صورته الخبرية: (إنى نُهيت) بدلًا من (لا تعبدْ الذين يعبدون من دون الله)، جاعلًا النهى على لسان المخاطَب بدلًا من توجيه قوة النهى من المتكلم، فجعل سلطة المخاطب على نفسه، فكان حمل المتلقى على إنجاز الفعل أقوى وأشد؛ حيث أنتج الأسلوب الخبرى: (إنى نهيت) مستوى من مستويات الكف: (لا تعبدْ)، لكن الصياغة فى الأسلوب الآخر تضع المتلقى موضع المتسائل: لماذا لا أعبد؟! فعبر بالأول قطعًا وحجبًا لأى سؤال من جهة، وإنجازًا للكف عما نُهى عنه من جهة أخرى؛ لأن النهى يقتضى الانتهاء وعدم التكرار. هذا هو المَعْنى بقول"سيرل "درجة الشدة"، والاختلاف للغرض المضمن للقول. فالخبر يبدو ظاهريًّا مفرغًا من دلالة الطلب وما تحمله من إلزام، بينما يحمل فى طياته إنجازًا لمحتواه القضوى لحمل المخاطَب على الاستجابة منتجًا دلالة التحقيق مما يدخله فى المهيئات لإنجاز الفعل.

- أنجز الخطاب القرآنى متتمات النهى عن عبادة غير الله بإسناد العبادة إلى الاسم الموصول بقوله: (الذين تدعون من دون الله)؛ لجريان هذه المعاملة عليهم، أو لتنوع ما يعبدونه. ثم سفَّه معبوداتهم بلفظة: (من دون)؛ فبيَّن حالهم وحال عبادتهم باضطراب عقولهم، وتجهيل مقصودهم، فكيف يقارن الخالق بمخلوقه، وكيف يشارك المخلوق خالقه فى أمرٍ لا يدرك كنهه، ولا يستطيع إدراكه؟، فحقق (الحال/ من دون الله) إنجازًا للكف عن الفعل؛ تنفيرًا منه، وترغيبًا بالأحرى إلى عبادته تعالى.

- تكرار الأمر الصريح بمعية اقترانه بالنهى: (قُلْ لَا أَتَّبِعُ أَهْوَاءَكُمْ)، للتعيين؛ فقد كان الأول للنهى عن عبادة غير الله، والآخر للانتهاء مطلقًا عن اتباع الهوى؛ فكأن الهوى ورَّث عبادة غير الله، فتدرج فى الكف؛ إشعارًا بما هم عليه من الباطل، وتعليلًا للنهى والانتهاء؛ لأنهم اتخذوا الباطل قائدًا ومرشدًا، فحقَّ عليهم الضلال.

- جاء المحتوى القضوى للجمل على هيئة الاستئناف؛ الذى ينبع من ثمرة (الترابط)، فكأن الجمل من شدة ترابطها استغنت عن الرابط فأنتجت نسيجًا واحدًا يؤكد على معنى واحد: [أنَّ عبادة الله هى الهدى، وأن اتباع الهوى غاية الردى]؛ لذا أظهر الاتباع مقرونًا بـ(الهوى)، بدلًا من القول: (لا أتبعكم)؛ لبيان سبيل الضلال.

- وظف الخطاب الجواب المحذوف فعله: (قد ضللت إذن)؛ للعلم به، فتقدم السابق يدلل على اللاحق؛ والمعنى: (إن اتبعتكم إذن فقد ضللت)؛ وقدم الجواب؛ لتحقق ملازمة الضلال فى حالة الاتباع، وقوَّى (عدم وقوعه) بثلاثة مقويات؛ تقديم الجواب، والتأكيد بـ (قد)، وتوظيفه: (إذن) الدالة على نفى الصفة عن المتكلم. يقول سيبويه: "إن الفعل بعدها غير واقع، وليس فى حال حديثك فعلٌ ثابتٌ"[121]. لكن فى حالة موسى عليه السلام: {قَالَ فَعَلْتُهَا إِذًا وَأَنَا مِنَ الضَّالِّينَ}[الشعراء: 20]. كان الاتصاف بها وقتيًّا؛ أى الاتصاف بالفعل فى حالة تنفيذه الزمنى.

- أكد الخطاب القرآنى حقيقة الشيء على الفرض والتقدير بتكرار المحتوى المبنى على السلب: (ضللت/ ليس بمهتدٍ). ثم أبلغ فى النفى بجعل الخبر جملة فقرن بين الاستمرار والدوام: (وما أنا من المهتدين)؛ لأن مقصوده خروجه من جملة هذه الفئة؛ وخروجه بالتبعية عن فئة وسمت بالهدى هو الضلال بعينه؛ لذا استخدم التعريف للجنس؛ أى الخروج عن جنس الفئة المتبعة. يقول ابن عاشور: "والخبر بالجملة يفيد أنه قد انسلخ

عن هذه الزمرة التى كان معدودًا منها، وهو أشد من مطلق الاتصاف بعدم الهدى؛ لأن مفارقة الإنسان فئته بعد أن كان منها، أشد عليه من اتصافه بما يخالف صفاتهم قبل الاتصال بهم"[122]. لذا فسره الزمخشرى بنفى الهدى عنه مطلقًا: "فأنا ضال وما أنا من الهدى فى شيء"[123]. ويكمن قوة التوجيه فى التعريض بمن يُوجَّه إليه الخطاب والتنبيه على وقوعه فى الضلال باتباعه الهوى. وصاغ الخطاب القرآنى هذا المعنى: (يا هذا لا تعبد الأصنام، ولا تتبع الهوى قد ضللت إذن فارجع)، بما هو أوقع فى النفوس، وأبلغ فى التعبير، وأمعن فى التأثير، وألزم فى الترغيب، وأشد فى التنفير.

الثـانيــة: الإضـــافة التخـالفيــة وتعــزيــز قــوة المنطــوق

تعزز روابط المخالفة[124]Adversative Conjunction قوة الملفوظ، وقد تقوم هذه الفنية على علاقات النقض والإبطال؛ لبيان حالين فريقين متقابلين فى الأماكن والصفات والجزاء، ونرى ذلك فى قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انْظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِنْ نُورِكُمْ قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُمْ بِسُورٍ لَهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ الْعَذَابُ (13) يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ قَالُوا بَلَى وَلَكِنَّكُمْ فَتَنْتُمْ أَنْفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَارْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ الْأَمَانِيُّ حَتَّى جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ وَغَرَّكُمْ بِاللَّهِ الْغَرُورُ﴾ [الحديد: 13، 14]. جاء الخطاب القرآنى فى سياق بيان الجزاء، والحال الذى يجرى عليه الفريقان، فريق فى الجنة وفريق فى السعير. هذا الحال يعكس الموقف الكلامى بما يحمله من تصوير للهيئة التى يكون عليها كل فريق، فنجد الفريق الذى حقَّ عليه الضلال موسومًا بالنفاق، معبرًا عنهم بالتذكير والتأنيث: (المنافقون والمنافقات)، فكل فرد منهم قد حقَّ عليه هذا القول، وأجمل المقول لهم (الذين آمنوا)؛ إذ التعيين مطلوبٌ فى الفئة الأولى؛ نظرًا لهاجس التمنى المسيطر على كل على حدة.

وقد عزز القوى الموجهة عدة محفزات:

● قوة التوجيه بالأمر الذى يحمل التمنى: (انظرونا نقتبس من نوركم)، وقد حمل الأمر قوة الرجاء بدلالة اللفظة ذاتها: (انظرونا)، فلم يقولوا: (ليتنا أو لو ننظر إليكم)؛ لذا عبروا بتلك اللفظة؛ لتمنِّيهم تمكن حدوثها لا سيما إرادفها بلفظة (نقتبس) الدالة على أخذ القليل من الشيء. وهذا على "قراءة الجمهور. أما قراءة حَمْزَة: بهمزة قطع مفتوحة، وكسر الظاء؛ أَي أمهلونا"[125]. والمعنى أنهم يريدونهم أن يمشوا الهوينا بِتُؤَدَةٍ ورفق حتى يلحقوا بهم، وكأنهم بهذه القراءة استعاروا لأنفسهم حالة الدائن والمديون، مبالغةً فى إظهار عجزهم عن السداد، وهنا مبالغة فى الإلحاق بهم، وإظهار الافتقار إليهم. وترجح لفظة (نقتبس) القراءتين؛ إذ الاقتباس: "المتناول من الشعلة"[126] يتطلب السرعة فى الأخذ بقوة الرجاء الموجودة، يقول الزمخشرى:"لأنه يسرع بهم إلى الجنة كالبروق الخاطفة"[127]. ويقتضى التمهل؛ للاستنارة بنورهم ومن ثمَّ الالتحاق بهم،"فجعل اتئادهم فى المضى إلى أن يلحقوا بهم؛ إنظارًا لهم"[128].

● قوة التوجيه فى الإجابة مع عدم تحديد قائلها: (قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا)؛ القول إما من المؤمنين، وإما من الملائكة، وعلى كلا القولين يتولد التيئيس والتهكم والسخرية، لا سيما اقتران الفعل بلفظة: (وراءكم) الدالة على تجنب الرجاء، وهى تحمل تعددية الإحالة، فقد يكون الرجوع إلى الله عزوجل، أو إلى

الدنيا، أو إلى الموقف ذاته. والفعل ومستتبعاته قد حمل معنى الاستحالة. يقول الراغب: وراءك: للإغراء ومعناه: تأخّر. يقال: وَرَاءَكَ أوسع لك[129]. وزاد ذلك بعدًا وحسرة بقوله: (فَضُرِبَ بَيْنَهُمْ بِسُورٍ)، فجعل الخطاب القرآنى السور حاجزًا بين الفريقين، فكأن السور هو الأعمال الفاصلة التى حسمت باطن السور بما فيه من النعيم، وظاهره بما فيه من العذاب.

- استخدام النداء بالفعل: (ينادى)؛ لعظم الفاصل بينهم، المصحوب بالاستفهام التقريرى الذى يحمل معنى التلطف فى الخطاب: (ألم نكن معكم؟)؛ تمنيًّا طلب اتباعهم بقرينة المعية ظاهرًا لا باطنًا فى صحبة الدنيا. لكن المحتوى وجّه الإجابة الشكلية: (بلى) مقرونة بالاستدراك بأربعة أسباب: {فَتَنْتُمْ أَنْفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَارْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ الْأَمَانِيُّ} إحالة على النفاق فى بداية الخطاب: {يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ}؛ إذ هذه الأفعال لا تأتى إلا من كان باطنه مزهرًا بالنفاق فتأتى ثمراته بهذه الأفعال، وجاء ترتيبها ترتيبًا يوحى بالتعمد (إهلاك النفس فى الشهوات فأوجبت الإعراض عن المعالى، وهذا تربص بالنفس وإخراجها عن فطرتها فأوقعتم أهل الإيمان فيما لا يحمد؛ ليظهر النفاق جليًّا واضحًا فى أفعالكم. وكان نتيجة ذلك كله هو الارتياب فى أمر الدين، والذي أوقعكم فى ذلك شهواتكم وتزيين الشيطان أعمالكم). هذا الترتيب يثمر وحدة كلية مترابطة؛ ليعود الخطاب كما بدأ فى تصوير نفاقهم، وتغرير الشيطان بإلقاء خواطره فى قلوبهم.

الثالثة: الارتباط التراكمي وتعزيز قوة المنطوق

تعمد الإضافية التراكمية[130] إلى تكملة الكلام السابق، أو إضافة معلومات جديدة. وأطلق عليها منير سلطان (الإضافة التراكمية)[131]، بينما يرى "يورى لوتمان" أن: (الإضافة التدريجية): هى التسمية المناسبة[132]. وفى ذلك يقول "فان دايك": إن القضايا المترابطة يمكن أن نطلق عليها مصطلح: "الرابطية" أو "المربوطية"[133]. وأطلق البحث تسمية (الارتباط التراكمى)؛ إذ هو آخذ برقاب بعضه بعضًا، قائم على تضاعف الإحساس وتعميقه، وتباعد بين أركانه، وتوسع أرجائه. هناك –إذن–مستويان تتم وفقهما عملية استمرارية بناء المعنى؛ "حيث تحتل العناصر التى تسهم فى ذلك البناء مواقعها بالانتقال من المستوى الخلفى إلى المستوى الأمامى، والعلاقة بين المستويين تخلق تواترًا تخف حِدته عبر تسلسل التفاعلات إلى أن يصب أخيرًا إلى إنتاج الموضوع الجمالى"[134]. ويقوم الترابط النصى على معايير مثل التناظر المكانى **Isotopie** وتكرار الكلمة فى بداية الجمل المتتابعة **Anaphores** والمجموعة الافتراضية المسبقة التى تمارس وظيفتها فى داخل النص ذاته[135].

ويظهر فى الخطاب القرآنى فى كثير من المواضع، ومن أمثلته "سورة الناس" التى ارتبطت تداوليًّا بتسميتها بـ(بالمعوذتين)[136]، وتعبيريًّا بـ(الناس)؛ حيث انسجمت انسجامًا عضويًّا بالنص. وتضمنت توجيّهًا وموجهًا وموجهًا له. مع افتتاح السورة الدال على تعيين الفعل الأدائى بالأمر الموجه لمتلقٍ خاص وهو النبى صلى الله عليه وسلم، أو متلقٍ عام وهم أمته. تم أردف ذلك بالاستعاذة، وطلبها من المستعاذ به: (أعوذ برب الناس)، والمستعاذ منه: (الوسواس الخناس)؛ مبيّنًا علتها، وقد اتكأ القرآن فى توجيه قوة الاستعاذة على مترابطات عدة؛ كالتدرج فى الأداء، والتقابل فى الصفات، والتناسق فى الموسيقى، والتنوع فى الأسماء بحيث

يكون حاصل المجموع واحدًا، وتوضيـحـه كالآتـي:

●الترتيب فى العوذ بالمستعاذ بـه: (رب النـاس، ملك النـاس، إلـه النـاس)؛ فجـاء التـدرج مـن العـام إلـى الخاص؛ لتنوع معانى المضاف والمضاف إليـه. فـ (النـاس) فـى الموضوع الأول لعموم المضطربين بـدنيًّا ودينيًّا من الإنس فقط؛ لذا ناسبها صفة الربوبية التى هى أنسب بالحماية والإعانة والرعاية والتدبير والإصلاح. فوقـع العمومية من جهـة والخصوصية من جهـة أخرى، فالنـاس هم المتعوذون من شرور خفيـة يلقيها الشيطان، فقصر العوذ عليهم، والمستعاذ بـه رب الجميـع، يعصم من يلوذ بـه، ويصرف عنهم أذى المستعاذ منـه. ثم إذ أذعن المرء إلى ربه واستعاذ به علم أنه الغنى عن خلقه، القادر على التصرف، الغالب على أمره؛ النافذ حكمـه وأمره فـى ملكـه فـأردف بـ (ملـك النـاس)، فنـتج خصوصـية، فهـو ملـك لـه خصوصـية التصـرف مـن جهـة، وخصوصية (الناس) الذين استعظموا مالكية ربهم، وهم فئة أقل من الفئة الأولى (رب النـاس)، فإذا مـا حدثت الملكية والمالكية المستلزمة للألوهية أعقبها بما هو أخص الخصوصية فهو المتفرد بالألوهية بطريق التبعية، فمن كان ربًا وملكًا فهو أحق أن يُؤله: (إله الناس) فهو إله مستحق للعبادة؛ لأنـه ملجأ المستغيثين، المستعاذ به وقت الحوائج. فاستدعى بذلك خصوصية إضافة من يؤمنـون بـه، ويعبدونـه حق عبادتـه، ومن كفر بعبادتـه فقد أخرج نفسه من ألوهيته. "فإذا ما تشكلت علاقة بين مدلول اللفظ المتقدم وغيره من الألفاظ التى تسبقه أو تليـه، يأخذ المعنى فى التكامل من خلال ارتباطه بغيره من المعانى التى يكشف عنها الاتصال والتوثق بين العلاقات التى يزخر بها النص، إذ يتخلق كبنـاءٍ متكامـل"[137]. ومـن هنـا تظهـر قصدية الخطـاب القرآنـى فـى إظهـار لفظة (النـاس)، وعدم إضمارها، وفى الترتيب المتبـع، فعدد أسماءه تعالى؛ لبيان الكمال المطلق من جهة؛ إذ إن أسماءه ليست مترادفة، فلكل اسم استقلاله وخصوصيته، فهو سبحانه رب وإلـه وملك، لـه الأسماء الحسنى. ثم وضح بذلك عوز الخلق إليه من جهة ثانية، وعظم المستعاذ منه من جهة ثالثة.

● جاءت الجمل مترابطة؛ لكونها عطف بيان للبيان، فكان مظنـة للإظهار دون الإضمار[138]، دالًا علـى الارتباط التدريجى، ولم يعطف؛ لأن العطف "إيذان بالمغايرة[139]"، وقصدية العوذ بمجمل هذه الصفات الواقعة على ذات واحدة. "فالربوبية والإلهية والملكية صفات للعزيز الجبار، صفات مفصولة متعددة تمثل صفة الإلـه، ولكنها تختلف في قوة تصويرها، فرب الناس لفظ مشترك، وملك الناس صورة أخرى، ولكنها أضيق فى الشركة، أما إله الناس فخاص لا شركة فيه، لذا جاء متأخرا، وجعل غاية للبيان[140].

●ذكر المستعاذ منه بوصفية اسم الفاعل: (الواسوس)؛ للدلالة على التجدد والحدوث فهو يقع في موقع متوسط بين الفعل والصفة المشبهة فهو أدوم وأثبت على الفعل[141]. كما ضوعف لفظه مناسبة لمعناه، فالوسوسة الخطرةُ الرّديئة، وأصله من الوَسْوَاسِ، وهو صوت الحلي، والهمس الخفي[142]. إن قدرة هذه اللفظة على التعبير عن مدلولات متعددة إنما هى خاصيةٌ متولدة تعبيريًّا وبنائيًّا عن اللفظة ذاتها؛ ومن ثمَّ ضوعف لفظها؛ لتكرر نفثه فى القلب؛ لذا وجَّه رسول الله إلى رجلين من الأنصار شَاهَدا صفية بنت حُيَيٍّ حينما جاءت تزوره وهو معتكف فى المسجد ساعة عشاء: "إنها صفية"، فاستعظما ذلك، فقال رسول الله:" إِنَّ الشَّيْطَانَ يَجْرِي مِنَ ابْنِ آدَمَ مَبْلَغَ الدَّمِ، وَإِنِّي خَشِيتُ أَنْ يَقْذِفَ فِي قُلُوبِكُمَا"[143].

●الوصفية بصيغة المبالغة: (الخناس)؛ فهو يَخْنُسُ؛ أي: ينقبض ويتأخر ويتنحى إذا ذكر الله تعالى[144]. و(فعَّال)؛ نظرًا لتكرر الفعل منه، فهى صيغة دالة على التكثير والمبالغة[145]. ولصوتية الحروف فاعِليَّة بنائية مبعثها ما يسمى بإيحاء الأصوات، فقد تميز وزنه بارتباطه بالوقوع وقتاً بعد وقت؛ لذا جعله بعضهم لمن صار له "الفعل صناعة؛ لأن الصناعة تقتضي كثرة المداومة والتكرار"[146]. فالوسوسة صنعته وهو عاكف عليها، ملازم لها. وفى حديث أنس بن مالك عن الرسول صلى الله عليه وسلم قال: "إِنَّ الشَّيْطَانَ وَاضِعٌ خَطْمَهُ عَلَى قَلْبِ ابْنِ آدَمَ، فَإِذَا ذَكَرَ اللَّهَ خَنَسَ"[147]. ونوَّع الخطاب فى وصفه بين الاسمية: (الخناس) وتعالق ذلك بالموصولية: (الذى)؛ ليعطى فعلًا مكرورًا يحاكى (الموسوس/ الذى يوسوس)؛ لثبات فعل الوسوسة واستمرارها؛ ومن ثمَّ يتحول فعل الوسوسة فى سورة الناس إلى خاصية لغوية؛ لاحتوائها على حرف: (السين)، إنَّ تكرار حرف السين وليدُ ضرورة لغوية، أو مدلولية، أو توازن صوتى. فهو "صوت ذو أزيز؛ لما يصحبه من صفير"Sibilants [148]، ويؤيده قوله تعالى: {أَلَمْ تَرَ أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا } [مريم: 83]، وهو "صوت مهموس رخو، من الأصوات الأسنانية اللثوية"[149]. وصوت مرقق، فلا يحدث عند النطق به رنينًا مسموعًا[150]؛ لذا فهو يتناسب مع ما تحدثه الوسوسة من همس وخفاء. وهو حرف تناقضى له مع صفه الهمس النغمة العالية عندما يزداد تردده، فهو يحتوى على أعلى الترددات من(8: 900) دورة فى الثانية، وأطلق عليه اللغوى السويدى مالمبرج: الضوضاء الخاصة بالصوت الصامت الاحتكاكى[151]. هذا التردد يتناسب مع تكرار فعل الوسوسة بتكرار الحرف السين؛ مما يجعله "أندى فى السمع" كما يقول سيبويه[152]. هذا الجمع بين الهمس والخفوت، والتردد الناتج عنه الحدة، يتولد عن حركة الخناس ذاته، فهو يخنس عند سماع ذكر الله، ويزداد تردده/ وسوسته عند الإغفال عن ذكره تعالى. ويدلل هذا التكرار على أن أى خاصية لغوية مائزة DISTINCTIVE هى متغيرُ أسلوبي بالفعل، وخاصية أسلوبية بالقوة"[153].

●التتميم (فى صدور الناس)؛ لبيان مكان الوسوسة المناسب لخفائها، فالباطن أمر خفى يترجمه الظاهر إذا امتثل الإنسان له، وقد بيّن الرسول محل الذنب ووقوعه فى الصدر فى قوله صلى الله عليه وسلم: "الْبِرُّ مَا اطْمَأَنَّتْ إِلَيْهِ النَّفْسُ وَالْإِثْمُ مَا حَاكَ فِي الصَّدْرِ فَدَعْ مَا يَرِيبُكَ إِلَى مَا لَا يَرِيبُكَ"[154]. وحسن إظهار الناس للمرة الرابعة بدلًا من :(صدورهم)؛ تنصيصًا على المقتضى التعبيرى لتكرار لفظة الناس، والمقتضى التداولى للوذ المستعاذ بالمستعاذ به.

●البيان فى قوله تعالى: (من الجنة والناس)؛ بيان الذي يوسوس، على أن الشيطان ضربان: جنى وإنسى[155]، يؤيده قوله تعالى: {وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ} [الأنعام: 112]. وقد تكون (من) لابتداء الغاية؛ أى يوسوس فى صدورهم من جهتي الجن والإنس. وجوز البعض أن الناس لفظ عام يطلق على الجن والإنس، ومن ثمّ تكون (من) بيانًا من (الناس)، والمعنى على ذلك أن الشيطان لا يقتصر إضلاله على الإنس بل يتعداهم إلى الجن[156] . ولا يرجح البحث القول الأخير؛ لأن الجن أطلق عليهم ذلك؛ لاستجنانهم أى لخفائهم من الناس فلا يُرونَ.[157] والإنس للإبصار والإيناس بهم[158]. ويتضح من تلك المعانى تقديم: (الجنة)؛ لمناسبتها لخفاء الوسوسة.

المبحث الخامس: وسائط ما وراء التلفظ وتعزيز قوة المنطوق

وسائط ما وراء التلفظ وتعزيز قوة المنطوق نوع من الإقحامات تسهم فى سبك النص وحبكه، وتساعد على تقوية المنطوق وتعزيزه؛ مثل: "كما قال فلان، كما ذكرت من ذى قبل،...." لذا تعدُّ وسيلة من وسائل تقوية إسهام المتلقى فى التفاعل، كما أنها تساعد على إبراز وعى المتكلم من جهة أخرى، ولها مفرادات معينة مثل: "أكرر، أشدد، أقول ثانية". وهذه المصادقة التى تصل طرفي التواصل نوع من تقوية المحتوى القضوى من جهة ثالثة[159].

ومن أمثلة ذلك قول نوح عليه السلام وهو يكرر موعظته لابنه باعتباره متلقيًّا خاصًا، وإلى المتلقى العام، ففى كل نصيحة كأنه يقول: (يا بنى أكرر قولى هذا، يابنى أوصيك، يا بنى أعظك، أنصحك،...) ممثلًا ذلك فى قول الحق سبحانه: {وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَابُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ (13) وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ (14) وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (15) يَابُنَيَّ إِنَّهَا إِنْ تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَاوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ (16) يَابُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ (17) وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ (18) وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ } [لقمان: 13 – 19].

وجّه لقمان مجموعة من القوى المحفزة لتعزيز قوة المنطوق، ومن ثم العمل به فجاء خطابه جامعًا بين التلطف في الخطاب والقوة فى توجيهه ممثلة في الآتي:

- جاء الكلام على مدار الحكاية؛ للتغاضى عن قوة الإلزام التى تجبر النفس على عمل معين، ومن ثم توظيف الجملة الحالية: (وهو يعظه)، والوعظ زجرٌ مقترن بالتّذكير بالخير فيما يرقّ له القلب[160]؛ لذا كرر النداء بعد الموعظة؛ لاستحضار ذهن المخاطَب الخاص والعام مع تقوية التأثير الإيجابى تحبيبًا وترغيبًا فيما يعظه، مكررًا لفظة: (الابن) وتصغيرها، وإضافتها إلى ياء المتكلم؛ للامتثال للموعظة.
- إرداف النداء بأسلوبية النهى: (لا تشرك) بادئًا فى موعظته بالإقلاع عن الشرك، وتنزيه النفس عن الضلال؛ حتى تكون نبعًا لتلقى النصائح الأخرى؛ لذا أنزل المتلقى منزلة المنكر أو المتردد فى قبول موعظته، فكأنه قال: (ولِمَ لا أشرك؟!)، فأزال الخطاب تردده، معللًا ما بدأ به من نهى بالجملة الاسمية الموجهية: (إنّ الشرك لظلم عظيم)؛ للتعبير عن اعتقاد المتكلم ويقينه التام من صحة الخبر وصدقه. منكرًا لفظة: (الظلم)؛ لشمول ظلمه لنفسه ببعده عن خالقه، وهو الغنى عن عبادته، وظلمه للأشياء التى خلع عليها صفة العبودية، وهى لا تملك لنفسها ضرًا ولا نفعًا؛ ومن ثَمَّ وظف الوصفية: (عظيم). وقد يكون هذا القول تصديقًا من الله تعالى على كلام لقمان، مثلما صدق على كلام بلقيس فى قوله تعالى: {قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ} [النمل: 34]. هذا يحيل المتلقى العام إلى خلاف فى الترجيح، هل قوله

تعالى: {وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ}، امتدادٌ لقول لقمان عليه السلام، أم أنه كلام الله عزوجل أتى به للتأكيد على ما وصى به لقمان من جهة، أو للتنصيص على إحسانه على عباده؛ إذ أوصى الأبناء ببر الوالدين؛ فوقع عمومية الوصية على لقمان وغيره. ويرجح البحث أنه من كلام لقمان؛ لمناسبته للسياق.

●وظف الإخبار فى التوجيه بدلًا من قوة الأمر فى قوله: (وصينا)؛ للدلالة على تحقق وقوعها، وبالأحرى تحقق وقوع العمل بها، معللًا ذلك بالحمل مع اقتضائه الوهن التى صورت حال الأم نفسيًّا وجسديًّا مع موقعها فى التركيب بوصفها حالًا، وتكرار اللفظة الدالة على (الضعف)، فكأن الأم بحملها صارت مصدرًا له، بل بات الوهن ملازمًا لها. و"إذا كانت الدلالة الذاتية متعددة الوجوه، فبعضها راجع إلى المحاكاة الصوتية، وبعضها يظهر فى الصفة التعبيرية للعلامات اللغوية، والصفة التعبيرية للمعانى. وتبلغ العلامة فى هذا وذاك مستوى من الرمزية تستطيع معه تصوير الشئ وتمثيله، ويتحقق فيه اللغة من الطاقة مدى تتجاوز معه حدود نقل المعنى إلى تجسيده، وإخراجه مخرج الموضوعية التعبيرية" [161].

●إن استخدام الخطاب القرآنى للفظة: (الوهن) قد اقتضت تلك الدلالات حاملة تلك الوجوه كافة؛ وحروف اللفظة ذاتها تستدعى هذا الشعور، فحرف (الواو) شفوى طبقى رخو استمرارى، وهو من الحروف المجهورة[162]، وحرف الهاء رخو مهموس مرقق خفى[163]، وحرف النون من الأصوات المجهورة التى تتخذ صفة الوضوح السمعي، والجهر، وهو بين الشدة والرخاوة، من الأصوات التى يحسن السكوت عليها للغنة[164]. وصفات هذه الحروف توحى بما تكون عليه الأم من ضعف صار شعارًا لها، والجملة تعليل لمضمون السابقة عليها؛ لزيادة محتوى التوكيد، وزاد من الربط الكمى بقيد الحال: (وفصاله فى عامين)، مبيِّنًا الإضافة التدريجية فى عبء الحمل، وشفقة الأم على مولودها حين الفصال؛ وهو أدعى للبر بها؛ لذا أوثر الأم بالذكر؛ لأنها المختصة بالحال التى ذكرت. ثم ختم الخطاب بالوالدين، كما بدأ بالوصاية بهما بالأمر الصريح: {أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ}؛ تفسيرًا للوصاية وتأكيدًا عليها؛ وزادها توجيهًا باقترانها بشكره تعالى من جهة، والتحذير من عقوقهما وعدم تنفيذ الوصية بالتهديد النابع من قوله تعالى: (إلىّ المصير) من جهة أخرى.

●حيث إن طاعة الوالدين قد عظَّم القرآن أجرها فقد استثنى الخطاب عدم طاعتهما فى حالة دعوة الإشراك بالله تعالى، فجاء بلفظة: (جاهداك) الدالة على تمكن الإلحاح فى دعوتهما إلى هذا الأمر المنهى عنه؛ لذا صاحب المجاهدة الحرف: (على)، وكان الجواب الصريح القائم على التواصل الأفقى: (فلا تطعهما). لكن القرآن تلطف فى الخطاب فجعل التواصل العمودى أساس الحياة، حتى إن اختلفت العقيدة،؛ لذا جاء الأمر بالمصاحبة بالمعروف، لكنه احترس بقوله: (فى الدنيا)؛ لأن الآخرة مكمن التوزيع والتصنيف، بين أهل النجاة وأهل العذاب. وكان الأمر باتباع سبيل من أناب إلى الله أمرَ توجيه وإلزام، أو أمرَ ترغيب فى ملازمة الصالحين. ثم جاء بالربط الكمى الذى اقتضى التراخى، فكأنه قال: (وعلاوة على ذلك إلى مرجعكم جميعًا)، أو وسيلة ما وراء التلفظ (وأكرر قولى ثانية: إلى مرجعكم جميعًا)، بما يوحى من تحذير لمن عصى، وتبشير لمن أطاع وأناب.

• جاءت سيكولوجية توجيه لقمان عليه السلام لابنه بضرب المثل، مبتدئًا بتكرار النداء المصحوب بعنونة البنوة وتصغيرها؛ إشفاقًا وتحبيبًا من جهة، ودعمًا لإيجابية دعوته من جهة أخرى. فضرب المثل على قدرة الله عزوجل وشمولية علمه بأدق الأشياء اختفاءً فى الأماكن الأكثر سعةً وانتشارًا والأعز منالًا: {مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَاوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ}؛ "ليعلم أن ما هو أقوى منه فى الظهور والدنو من التناول أولى بأن يحيط به علم الله وقدرته"[165]. وعبّر بـ (المثقال)؛ إشارة لتناهى الثقل، وذكر (الصخرة)؛ للاحتراس؛ لكونها أخفى لها، وأشد غموضًا فى خفائها. وكرر التخيير:(أو)؛ لإرادة كل منهما على حدة ثم زاد ذلك توكيدًا وتنصيصًا بتكرار: (فى) الدالة على التمكن؛ أى إذا كانت (الحبة) فى السموات أو فى الأرض بالرغم من سعة أرجائها وتعدد مسالكها (يأت بها الله).

وقرأ الجمهور بالنصب، وقرأ نافع بالرفع[166]. وقراءة الرفع على كون (كان) مكتفية، والمعنى عائد إلى القصة. والقراءة على النصب تشير إلى أن الله يجازى على العمل من إحسان أو إساءة ولو كان فى زنة حبة من خردل. وقدر أبو على الفارسى المعنى قائلًا :(إن تك المظلمة أو السيئة مثقال حبة من خردل أتى الله بها، وأثاب عليها، أو عاقب)[167]. والقصة مسوقة لضرب المثل على أعمال العباد. وتعددية القراءة تستدعى فى كل فرضية ربط جديد بخطاب النص. "هذا الربط يشى فى صياغة النص ذاتها بقدرة أصيلة على الاستئناف التى هى مسيمه المفتوح. والتأويلُ هو النتيجة لهذا التسلسل والاستئناف"[168].

• جاء بجواب الشرط: (يأت بها الله)؛ دلالةً على التمكن منها، وعلى علمه بالأولى بأماكن وجودها، فبرهن لقمان بالدليل المنطقى على تمام قدرة الله المطلقة، ونفاذ تصرفه فى خلقه، ثم ختم بالمقصد من التمثيل عامة: (إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ)، مظهرًا الاسم الأعظم؛ لاستحضار كمال الصفات، وجلال النعوت، فالله هو اللطيف الذى اجتمع له الرفق فى الفعل والإنعام والإحسان، الخبير بدقائق الأمور، وقد استدل على ألوهيته بذلك. فكونه خالقاً يلزم كونه عالماً؛ لأن الخلق فيه من الإحكام والإتقان، وعجيب الصَّنْعَةِ ودقيق الخِلْقَة ما يشهد بعلم الفاعل له[169]. من ثم جاء تقديم اللطف على الخبرة؛ للسببية، فهو لطيف بخلقه؛ لأنه خبيرٌ بهم. وقد وجّه هذا المثل دلالة على إبطال الشرك، وتوكيدًا للنهى الموجب الكف: (لا تشرك بالله).

• اختيار الاسمين الجليلين (اللطيف الخبير)؛ للاستدلال بالكلية على الجزئية؛ أى أن مضمون (اللطيف الخبير) أعم من مدلول الجملة السابقة عليها، ومن ثمَّ تزداد درجة القوة بالختم بـ(إن الله لطيف خبير)؛ لعدة وجوه؛

<u>الأول:</u> أنه تذييلٌ تضمن (اللف)، والنشر سابق عليه؛ لعموم اللطيف الخبير على ما سبقه من جهة، والجمع بين السبب والمسبب من جهة أخرى.

<u>الثاني</u>: كونه تذييلًا يجعل الاسمين من قبيل الصفة المشبهة؛ لثبوت ولزوم العلم والقدرة المحيطة بجميع الأشياء، فجاء بالنتيجة الكلية.

الثالث: احتمال كونهما صيغة مبالغة؛ للاستدلال على استحقاقه بالعبودية، والتأكيد على قوله تعالى: (لا تشرك بالله).

• شرع لقمان فى بيان القيم الخُلقية والاجتماعية التى يجب أن يتحلى المرء بها، مكررًا النداء المقرون بالأمر مع ترغيبه فى العمل به عن طريق إضافته إلى ما يدل على الشفقة واللطف والترغيب: (بني). بادئًا نصحه بـ (إقامة الصلاة)؛ لأنها أول علامات الإيمان والطاعة والاعتراف بالألوهيه، ثم ثنى ما عليه من حقوق تجاه مجتمعه؛ إذ الفرد اجتماعى بطبيعة حاله، لا يعيش منفردًا: {وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ}. وقد جاء النهى ضمنيًا فى صيغة الأمر الدالة على الكف[170]؛ أى أمسك النفس عن فعل المنكرات، فإذا كانت لنفسه الأولوية فى هذه الأمور اتجهت لغيره بالحتمية، فإن فاقد الشيء لا يعطيه، والهدى لا يدرك بمسالك الضلالة"[171]. وبهذا المعنى تؤدى التراكيب إلى تراتبية مفهومية ومنهجية، يؤلف المسار البنيوى بنيانها، ويؤلف المسار التداولى التأويلى أعمدتها، فى حين يؤلف المسار الدلالى مفتاحًا يُستعان به للكشف عن النواحى الاجتماعية والنفسية.

• حيث إن الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر يصيب الإنسان –أحيانا– بالمكروه، فقد وجّه الخطاب للمتلقى الخاص والعام الأمر بالصبر مؤكدًا وقوعه ومشددًا عليه بتوظيف الفعل الماضى: (أصابك)، ثم علل ذلك بإضافة الصفة للموصوف، أى من الأمور المفروضة التى يجب العزم عليها. أو بإسناد الصفة للموصوف مجازيًا: (إن ذلك من عزم الأمور/ إنّ ذلك من العزم أو الحزم فى الأمور)، "يعني من حزم الأمور وحقائقها"[172]. والحزم: الحكيم غير منتكث فى رَأْيه وتصرفه[173]. والعزم أعلى منه فى درجة الشدة وأعم؛ لأنه يتطلب الإرادة والصبر. وربما تقاربا؛ لتقارب مخرج الحاء والعين. والعزم: ما عَقدَ عليه القلب أَنَّكَ فاعله أو من أمرٍ تيقّنْتَهُ[174]. والعزم الإصرار، العزم على شيءٍ لا يُهَمُّ بالقُلُوع عنه[175]. وفى الحديث: "خير الأمور عوازمها"[176]. وله معنيان؛ الأول: خير الأمور مَا وكّدت عزمك ونيّتك عليه، ووفَّيت بِعهد الله فيه. والآخر: الفرائض التى عزم الله تعالى عليك بفعلها[177]. وقد تعدد ذكره فى القرآن الكريم فى سياقات التوكل[178]، والإمضاء فى الأمر[179]. والمحافظة على القيام به والتشديد فيه[180]. كما جاء فى سياق الصبر على المكروه، والثبات الذى لا محيص عنه من غير استكراه ولا بث[181]. وجاء منفيًا مخبرًا عن آدم عليه السلام حين عهد الله له ولم يجد له عزمًا[182]. وإذا عزمت على الأمر فلا مندوحة فى الترك.

• توظيف اسم الإشارة الذى يلى: (إنَّ): { إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ }؛ لعود الإحالة إلى جميع ما سبق؛ نظرًا لتلازمها. لكن الألوسى رجح عود الضمير إلى الصبر؛ نظرًا "لبعد منزلته فى الفضل"[183]. والبحث يرجح عود الضمير إلى ما سبق ذكره استئناسًا بقول الجرجانى فى الدور الرئيس التى تقوم به: (إنّ) فى مثل هذه المواضع:" أنك ترى الجملة إذا هى دخلت ترتبط بما قبلها وتأتلف معه وتتّحد به، حتى كأن الكلامين قد أفرغا إفراغًا واحدًا، وكأن أحدهما قد سبك فى الآخر؟"[184]. وهنا يتضح أن الربط الكمى لم يقم على حروف العطف فحسب بل قام بالربط حرف التوكيد: (إنّ)، واسم الإشارة الذى اقتضى المرجعية؛ ليربط اللاحق بالسابق. وفى ذلك يقول الدكتور عبد المطلب: "وقد يكون لحرف الإثبات (إن) قدرة على الربط بين الجمل بحيث يحدث عملية

تراجعٍ بالجملة الثانية إلى الأولى ليحدثَ نفس الالتقاء الرأسى، مما يعمق أبعاد الدلالة فيؤكدها، ويجعل الجملتين كأنما أفرغتا فى قالبٍ واحدٍ وسبكتا سبكًا منتظمًا[185].

• توجه الخطاب بالنهى مباشرة دون اصطحاب النداء كما فى الآيات السابقة؛ نظرًا لأن الوصية واحدة فاعتمدت على التواصل الرأسى، والربط الكمى؛ إذ المنهى عنه الكبر والخيلاء والإعجاب بالنفس وهو من متممات عزائم الأمور، فاقترن النهى عن أمرٍ يراه الجميع معبرًا بالجزء مع إرادة الكل: (ولا تصعر خدك للناس)، والتصعير: "إمالة الخَدّ عن النّظر إلى النَّاس تهاوُنا وكِبْرا كَأَنَّهُ مُعْرض[186]. واختلف فى القراءة[187]. مع توحيد معنى الإعراض والتكبر. وهنا يوجه الخطاب الناس كافة إلى كيفية التعامل وبث القيم الخلقية وإقامة علاقات اجتماعية منبعها التواضع ومكارم الأخلاق. ثم أردف حالة جسدية أخرى، وهى كيفية المشى. لذا ذكر الاحتراس: (فى الأرض)؛ مع أنه معلوم أن المشى لا يكون إلا فيها؛ دلالة على قصدية الأمكان العامة التى يجتمع فيها الفقير والغنى، فيكون بسيره هذا قد جلب لبعض الخلق التمنى أن يكون على شاكلته، أو يقول الذى يريد زينة الحياة يا ليت لى مثلما أوتى، إنه لذو حظ عظيم. ثم أنه أوقع المصدر موقع الحال، أو تأكيدًا (لا تمرح مرحًا). أو "لأجلِ المرح والبَطَرِ، أى لا يكن غرضك فى المشى البطالة"[188]. وكلُّ النهيين تمثيلٌ كنائىٌّ، الغرض منه الاعتدال فى الأمور الحياتية كافة سواء فى الحالة الجسدية/ الحسية، أو الحالة النفسية/ المعنوية.

ويستدعى الخطاب نهيًّا ضمنيًّا آخر صُدِّر له بالصريح، وعُبِّر عنه بالأسلوبية الخبرية التى تحمل الذم للفاعل من جهة، وما تحمله من مبالغة فى الوصف بالافتعال، وصيغة فعول من جهة أخرى فى قوله تعالى: (إن الله لا يحب كل مختال فخور)، فهو إخبارٌ تذييلىٌّ يولد المعنى: (لا تختالوا ← يقابل لفظة: لا تصعر)، و(لا تفتخروا← مقابل للفظة: لا تمشِ فى الأرض مرحًا) على النشر غير المرتب/ المشوش، فكأن المعنى جاء مكررًا بل حقق تأكيدًا ينجز به كل فعل على حدة لا مجموع كليهما؛ بما تضمنه من تكرار للنهى وما وظَّفه من أسلوبية الإظهار، وما يبعثه الفعل المنفى: (لا يحب)، فلم يأت: (يبغض أو يكره)؛ لأن المحبة متعلقها الإرادة، ومن موجباتها الحكمة.

• وجّه قوة المنطوق موظفًا الربط الكمى؛ لتكامل البناء بتوسيع أرجائه، وإقامة أعمدته، فعمد إلى بيان الكيفية فى السير وفى الكلام؛ احتراسًا من فهم متلقٍ أن النهى عن المشى (مرحًا) يستدعى السرعة فيه، ففند هذا بالدعوة إلى الاعتدال والتوسط عن طريق تعيين الفعل الأدائى: {وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ}. وقد حثّ الرسول صلى الله عليه وسلم على الاعتدال فى المشى حتى يكون مشيًّا بين مشيين: وفى حديث أَبِي هُرَيْرَةَ: "سُرْعَةُ الْمَشْيِ تُذْهِبُ بَهَاءَ الْمُؤْمِنِينَ"[189]. قال الزمخشرى:"لا تدب دبيب المتماوتين، ولا تثب وثيب الشطار[190]. ومدح الشعراء التؤدة فى المشى، فقال الأعشى [191]:

كأَنَّ مِشْيَتَها مِن بَيْتِ جارَتِها ... مَرُّ السَّحابَةِ لا رَيْثٌ ولا عَجَلُ

وقصدية الخطاب النهى عن الإفراط والتفريط، فلا يوجد فى نفسه أو فى جسمه أو فى نطقه مجالًا للتصنع الذى هو وسيطة الكِبر. ثم قوى التوجيه إلى الاعتدال والأمر بالعفة باستخدام حرف الجر:(من)، فى قوله تعالى:(واغضض من صوتك)؛ لئلا يُفهم التماوت أو الدلال فيطمع الذى فى قلبه مرض، فعُلم أن الأمرين؛ الرفع والتماوت مذمومان. وفى حديث نافع بن جُبَيْرٍ،"أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا مَشَى تَكَفَّأَ تَكَفُّؤًا كَأَنَّمَا يَنْحَطُّ مِنْ صَبَبٍ"[192]. والمقصود أن مشيته بين بين، نوَّع المشى بلفظة: (ينحط)؛ لتصوير المشية، فكأنه ينزل من مكان عالٍ، والمغزى منه توضيح نوع المشية، فلا إسراع ولا إبطاء. كما رغّب القرآن فى ذلك، وجعله من صفات عباد الرحمن فقال ثناءً ومدحًا: {وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا } [الفرقان: 63]. فوصف معالى الأخلاق وتساميها بتصوير الحالة الجسدية وما يتولد عنها من الرفق واللين والسكينة والوقار والتواضع، فحازت الآيات على مجمع الفضائل، ومعالي الأخلاق، ونهت عن مساوئها. "إن الصورة الفنية فى هذا المعيار لها شكل خاص حافل بالدلالة والإيماض والإيحاء، فهى بنية دينامية حية، تتفاعل علاقاتها وتتآزر عناصرها فى تجسيد الواقع النفسى والشعورى"[193].

- وجّه القوة بالاستعارة التمثيلية: (إن أنكر الأصوات لصوت الحمير)، تنفيرًا وذمًا، فجعل علو الصوت أقصاه كنهيق الحمار، وجعل صاحبه حمارًا؛ مبالغة فى الذم والتحقير. وفى حديث أبى هريرة" "إِذَا سَمِعْتُمُ الدِّيَكَةَ تَصِيحُ بِاللَّيْلِ فَإِنَّهَا رَأَتْ مَلَكًا، فَسَلُوا اللهَ مِنْ فَضْلِهِ، وَإِذَا سَمِعْتُمْ نَهِيقَ الْحَمِيرِ فَإِنَّهَا رَأَتْ شَيْطَانًا، فَاسْتَعِيذُوا بِاللهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ"[194] ثم وظف أسلوبية التعريف بـ(ال)، للجنس، مع دخولها على الجمع؛ لتناسق الفواصل، والمقصد أن من يفعل ذلك صار من هذا الجنس. وجعل التمثيل عائدًا على النهى عن رفع الصوت؛ تنصيصًا فيه؛ لئلا يفهم عود التذييل على مجموع الأمرين. قال النيسابورى: "من نُكر صوت هذا الحيوان أنه لو مات تحت الحمل لا يصيح، ولو قتل لا يصيح، وفى أوقات عدم الحاجة يصيح وينهق، وأما سائر الحيوانات فلا يصيح إلا لحاجة"[195]. وقد نفّر الشعراء من صوته، وفاضلوا بينه وبين الجياد، فنرى أبا الطيب يقول[196]:

لَمْ تَزَلْ تَسْمَعُ المَدِيْحَ وَلَكِنْ ... صِهَالَ الجيَادِ غَيْرَ النُّهَاقِ

والمتنبى- هنا- يشبه شعره بصهيل الجياد، بينما شعر غيره كنهيق الحمير. هذه الطبيعة ترسخت فى أذهان الخلق؛ لكونها فطرة الله التى فطر الناس عليها. ومن ثمَّ تؤدى الوسائط اللفظية ووسائط ما وراء التلفظ إلى ربط وترابط عضوى داخل النص، معتمدًا على مجموعة من القوى الضاغطة تتمثل فى فعل القول، والفعل المضمن له، والفعل الناتج عنه. ويجدر الإشارة أن هذه الوسائط تستخدم فى تعزيز قوة المنطوق، كما يمكن توجيه استراتيجيتها إلى إضعاف الخطاب أو تلطيفه.

نتـائــج البــحث:

-يجيب البحث عن سؤال مهم وهو أن القوة الإنجازية لها دورٌ فاعل ورئيس فى الانتقال من الفعل الإنجازي إلى الفعل التأثيري. فالعلاقة بينهما علاقة طردية، فكلما قوي الفعل الإنجازي ازدادت مظاهر الفعل التأثيري، والعكس. ومن ثمّ فإن درجات الفعل الإنجازي سواء بالقوة أو الإضعاف بمثابة البوصلة أو المؤشر لقياس الفعل التأثيري. كما يؤكد عنوان البحث أن البلاغة نظرية شاملة لأي خطاب مؤثر، فالمحرك الذي يدفع المتكلم إلى انتقاء ألفاظه وتطور تقنياته، وتسخير أدواته كافة هو الوصول إلى الغرض المنجز المتمثل في الإقناع وجمالية التعبير. انطلاقًا من هذا فإن القيمة الإبلاغية للمنطوق تَعدُّ قيمة ثانوية؛ إذ لم تنطلق إلى قيمة حجاجية ينبع منها الإقناع الذي مداره الفعل التأثيري.

-تُعَدُّ الأفعال الإنجازية مجالًا من مجالات البحث اللساني التداولي، فهى ألصقها بطبيعة البحث فيه؛ حيث إنها تتضمن المجالات التداولية من حيث الهدف العام، وهو الاستعمال اللغوي الذي يقصده المتكلم بقوله، وما يخلفه القول من تأثير؛ لتأسيس استراتيجية مُؤداها الفهم للملفوظ، وكيفية إخراجه، والهدف من النطق به ضمن سياق يوضح تلك المقاصد، ومن ثم الإسهام في تفسير المنطوق في ظل منظومة تواصلية؛ لتصبح اللفظة خالقة للمعنى.

- إن تعديل القوة الموجهة ببعديها؛ الأسلوبي والحجاجي تسعى لاستيفاء الشروط كافة (شرط المحتوى القضوي، الشرط التمهيدي، الشرط الأساسي، شرط الإخلاص) التي تثبت قدرة (الكلمة) على (الفعل)، وما تعديل القوة إلا لملازمة الكلمة للفعل، فحين يضطلع الكلام بتلك الوظيفة، يصبح دافعًا للفعل، خالقًا للرأى، صانعًا للفكر، داعمًا للموقف؛ إذن هناك علاقة طردية بين القوة الموجهة والقوة التواصلية، فكلما زاد فعل الكلام التلفظي وقوته الخطابية أنتج قوته التداولية.

- هناك نوعان من وسائل تعديل القوة، النوع الأول: مصاحبات الكلام (الوسائل غير اللغوية)، وقد تقيم اتصالًا خاطفًا له أهميته التي نصّ القرآن عليها في حديث الإشارة للسيدة مريم، وسيدنا زكريا عليه السلام، وفي بلاغة المنطوق الإشاري في الأحاديث النبوية. لكن تظهر درجتها الفعلية عبر اتصالها بالمنطوق. والآخر: الوسائل اللغوية التركيبية وغير التركيبية. وقد وجّه البحث الأهمية القصوى للوسائل التركيبية المتضمنة الأنواع الأربعة: (وسائل التشكيل الصوتي [النغمة، الصوت، النغمات التقابلية، النبر،...]، والوسائل المعجمية [وتتنوع قوتها وفقًا لما تُوجه إليه من مكونات المنظومة التواصلية]، والوسائل التركيبية [الأساليب الإنشائية]، والوسائل الخطابية/ ما وراء العملية التداولية [الوسائل الصريحة لتعيين الفعل الأدائي، المنطوق التكراري، وأدوات الربط والارتباط]، ووسائل ما وراء الخطاب، وهى نوع من الإقحامات يلجأ إليها المتكلم؛ لتقوية التأثير الإيجابي بينه وبين متلقيه.

– القوة الموجهة للمتكلم وسائل يستخدمها لتعزيز منطوقه مثل: (أؤكد، أجزم، أعلم، أقر،...)، كما أن المتكلم قد يستخدم وسائل تضعف منطوقه وتجعله قابلًا للشك: (أظن، أعتقد، أخال، على ما يبدو، أزعم ...)، ومنه قول فرعون: {وقَالَ فِرْعَوْنُ يَاأَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي فَأَوْقِدْ لِي يَاهَامَانُ عَلَى الطِّينِ فَاجْعَلْ لِي صَرْحًا لَعَلِّي أَطَّلِعُ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ مِنَ الْكَاذِبِينَ} [القصص: 38]؛ امتلكت لفظة: (لأظنه) قوة المخالفة لما سبق تعزيزه فى الخطاب من استخدام: فعل الترجى: (لعل)، بدلًا من الاستحالة: (ليت)؛ لإضفاء الإمكانية على ملفوظه، يعزز ذلك قراءة الرفع فى: (فأطلع) الدالة على اليقين، إضافة إلى تعيين الفعل الأدائي عن طريق النداء والأمر. أما قراءة (النصب)، فتدل جهويًّا (مكاشفة/ تصريحًا) على عدم وقوع الفعل فى زمن إنتاج التركيب؛ لتعلق وقوعه على وقوع فعل آخر؛ باعتباره علة أو غاية له. وتدل موجهيًّا– منطق الموجهات هو إدراج موقف المتكلم فى القضية، ولا يعنى ذلك بيان الصدق والكذب، بل يتجاوزها؛ ليهتم بالإمكانات المنطقية التى تستوجبها– على تضاؤل يقين المتكلم؛ وبالتالى امتناع حدوث الفعل؛ لذا أضفى فرعون نوعًا من الإمكانية على أسلوبه باستخدام: (لعل) بدلًا من (ليت) التى تجعل الأمر مستبعدًا؛ لانعدام حدوثه أو استحالته. أما استخدامه للفظة: (لأظنه) فقد أضعفت منطوقه بدلًا من تقويته وتعزيزه. هذا يدل على أن النغمة العالية لا تهدف دائمًا إلى تعزيز المنطوق، بل تبدو فى بعض السياقات وسيلة تشكيلية لإضعاف الملفوظ، هذا الإضعاف قد يكون نتيجة لشك المتكلم فى صدق محتواه، أو فى سياق آخر رغبة المتكلم فى تلطيف خطابه لخلق اتصال عمودى يهدف لإقامة علاقة رحبة بين طرفي التواصل.

–يلجأ المتكلم إلى سيكولوجية (تقوية الفعل الكلامي إيجابي التأثير)؛ لإقامة علاقة تواصل بينه وبين المخاطَب، وللإبقاء على تلك العلاقة يعدل من منطوقه فيلجأ إلى (الإطناب، التقرير، الإنكار، التذكير)، يتضح ذلك فى أسلوب فرعون مع موسى عليه السلام؛ لإقناع الطرف الثاني بالتغاضى عمّا جاء من أجله، فلجأ إلى الاستفهام التقريري؛ لإعطاء فترة زمنية ومساحة مكانية لمخاطِبه، يدلل على ذلك أسلوب الاسترسال المتبع، واتهامه لموسى عليه السلام بالكفر؛ تمنيًّا منه أن يشغله بتلك القضايا. أما الطرف الثاني، وهو سيدنا موسى فقد استخدم (تقوية الفعل سلبي التأثير)؛ حيث عمد إلى التباين الاجتماعي عن طريق الاتصال الأفقي: {تِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ أَنْ عَبَّدْتَ بَنِي إِسْرَائِيلَ }[الشعراء: 22]، فاتخذ الطرف الأول خصمًا له، فلم يرحب بأية علاقة تقيم تواصلًا. هذا يؤكد أن البلاغة علم يبحث فى الأبنية التي تندرج فيها الأشكال البلاغية، ويحلل كيفية قيامها بوظائفها التداولية وتأثيرها الجمالي الناجم عنها، وتدحض النظريات القائمة على انشطار البلاغة إلى بعدين؛ بعد تداولي وبعد تخييلي.

– يختلف التواصل العمودي والأفقي فى الخطاب المكي عن الخطاب المدني، فقد غلفت القوة التوجيهية فى الأول بالصبر والثبات وطريقة إقناع الطرف الآخر؛ بغية التواصل العمودي، وإن كان شأن المتلقي الإعراض وقطع أطر التواصل (التواصل الأفقي). وقد مثل البحث للتواصل العمودي من قبل إقناع الرسول لقومه، أو الوالد/ مع ولده، مثل نوح مع ابنه، ولقمان أيضًا، مع اختلاف المتلقي فى اختياره لنوع التواصل. ومن قبيل

تواصل زليخة مع يوسف عليه السلام، وفرعون مع موسى عليه السلام، مع اختلاف طريقة العرض، وأسلوبية الفعل التأثيري. واستخدام زليخة وفرعون فى طريقة تواصلهما التهديد– وإن لم تأتِ بما قصدا– محافظة على إقامة التواصل العمودي وإقامة علاقة رحبة بإجبار الخصم على تقبل ما يوجهونه إليه. أما توجيه الرسل فى الخطاب المكي فقد بُنيَّ على التنويع بين الترغيب والترهيب، كما حدث في سورة " الأنعام، الأعراف، هود، الشعراء، النمل، لقمان، يس، الزمر، الناس). مع مراعاة أن الرسل جميعًا كان هدفهم الأسمى إقامة علاقة تواصل عمودي حتى إذا تبين أن الطرف الثاني عدوٌ لله توجهت إلى التواصل الأفقي إلا سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، فقد روى فى حديث ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا فى صلاة الرسول على عَبْد اللَّهِ بْن أُبَيٍّ مع كونه منافقًا، ونهى عمر رضى الله عنه له؛ أَلَيْسَ اللَّهُ نَهَاكَ أَنْ تُصَلِّيَ عَلَى المُنَافِقِينَ؟ فَقَالَ: "أَنَا بَيْنَ خِيَرَتَيْنِ:"لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَهُ سَبْعِينَ وَسَبْعِينَ"، حرصًا منه صلى الله عليه وسلم على إقامة علاقة التواصل العمودي، لكنه جنح إلى التواصل الأفقي عند نزول القاطعة الأسلوبية (أبدًا) فى قوله تعالى:{وَلَا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَمَاتُوا وَهُمْ فَاسِقُونَ} [التوبة: 84].

– تنوع التواصل فى الخطاب المدني بين العمودي والأفقي، وقد مثَّل البحث بآيات الدعاء فى سورة آل عمران للتواصل العمودي؛ حيث إن الذات السائلة الحاملة للتضرع والدعاء متمثلة الفعل الكلاميّ إيجابيّ التأثير؛ لتعجيل الإجابة؛ لذا جاء فعلهم الكلامي مقرونًا بالخشوع والتذلل؛ مولدًا فعلًا تأثيريًّا متضمنًا المحتوى التعليلى والضاغطة الأسلوبية؛ لتوسيع دائرة الإنعام مع الشعور الممزوج بالخوف والرجاء. ومثل البحث للتواصل الأفقي فى الخطاب المدني بسورة الحديد؛ حيث عمد المؤمنون إلى قطع أطر التواصل، مع تمنى الفئة الأخرى الاستنارة بنورهم ومن ثمَّ اللحوق بهم (العمودي)، لكن القوة التوجيهية التى تحمل من التواصل الأفقي دلالات التيئيس والتهكم والسخرية النابعة من إهلاك النفس فى الشهوات، وتغرير الشيطان بإلقاء خواطره فى قلوبهم؛ أوجبت الإعراض عنهم.

– وظف الخطاب القرآنى التقريري والأدائي القواطع الأسلوبية (حقًا، يقينًا، لا جرم، لا ريب، إذن،...، الضاغطة التوكيدية بأنواعها [القصر، التقديم والتأخير، التكرار، أدوات التوكيد بأنواعها المختلفة) بالإضافة إلى الطبقة التنغيمية، والعناصر البؤرية التى تتخذ المتممات، والاحتراس، والإيغال، والاعتراض بالعكس؛ واللف والنشر،...، لكونها علاماتٍ دالةً على تعديل الخطاب، ووسيلة تعضدية تتطلب تعديل في درجات القوة؛ لتوجيه الغرض الذي يعد أحد وظائفها، ولا يمكن تحديد تلك القوة إلا من خلال المعنى، والفهم للمنطوق، والمقام الذى سيق فيه.

– إن قوة الصوت التوجيهية تعتمد على الترابط بين البناء العضوي للنص من جهة، ودلالات الصوت ذاته من جهة أخرى. هذه القوة الصوتية قد تكون مكرورة مع اختلاف معانيها وفقًا لاختلاف السابق عليها؛ أي تكرار لفظي فقط، وقد وُظفت للارتباط الكمى، وقد تتفق لفظًا ومعنى قصدًا لتحقيق قوة المنطوق، أو انتباهًا

لمتلقٍ. أو يحمل الصوت ذاته تخالفًا؛ فيؤدي بطبيعة ماهيته إلى الخفاء والخفوت، وبطبيعة تكراره إلى تصاعد الحدث كما ظهر في سورة الناس.

– يُعيّن سياق الموقف كَنه المعنى التأثيري للملفوظ وفقًا لتعزيز القوة إيجابيًّا، أو إضعاف تأثيرها سلبيًّا. وتعد الوسائل الصوتية التشكيلية وسائل فونولوجية ينص عليها الخطاب القرآني؛ لارتباط طبيعة الصوت بتوليد الدلالة، ودرجته بتوجيه الغرض. واختلاف الهيكل التنغيمي من جملة إلى أخرى وفقًا للوصل أو الفصل، أو نوع الوقف. واختلاف القراءة ركيزة رئيسة في تعديل قوة الملفوظ، ويدلل على ذلك قوله تعالى: {يَاحَسْرَةً عَلَى الْعِبَادِ مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ} [يس: 30]؛ حيث إن تراوح النطق بين التنوين والتسكين والتطويل يعطي دلالات جديدة تكون بمثابة آية جديدة، وهذا من طرق إعجاز القرآن الكريم.

–تحقق في الخطاب القرآني نوعان من التذييل يستخدمان في تقوية المنطوق وفقًا للخطاب الموجه وسياقه، هما التذييل ذو الاستقطاب المتناظر الذي يعلن عن نغمة تصاعدية تحمل المتلقي على الإقرار بمضمون الجملة، كما أنه يحمل إضافة جديدة وفقًا لمبدأ السبق واللحوق. والتذييل ذو الاستقطاب المتماثل الذي يحمل وظيفتين؛ الأولى ترديدية، كأن المعنى تمَّ تكريره، والأخرى تفسيرية تعليلية.

– جاء تعيين الفعل الأدائى في الخطاب القرآني في مواضع عديدة بصورة ظاهرة/ صريحة دالة على الغرض من المنطوق، مثل: (أسألك، أعوذ بك، أعظك)، وقد يخلو من صريح الأداء؛ معتمدًا على دور السياق فى إنتاج الدلالة، نحو: (هلك الظالمون)؛ أى أدعو عليهم بالهلاك. ويلجأ المتكلم إلى تعيين ملفوظه صراحة؛ للتقرير أو التأكيد أو الوضوح، أو لتحديد المراد. وقد يتطلب المقتضى البلاغي تعديل في درجات القوة، عن طريق تحويل الأسلوب ذاته إلى وسيلة تعضدية؛ بتفريغ الصيغة من مضمونها وإنتاجها دلالات أخرى، أو تحولها إلى صيغ أخرى لتوليد دلالاتها، أو أن الأسلوبَ ذاته محولٌ عن طريق توجيهه إلى غير المراد توجيهه، على شاكلة قوله تعالى: {إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضْعَفُونِي وَكَادُوا يَقْتُلُونَنِي فَلَا تُشْمِتْ بِيَ الْأَعْدَاءَ وَلَا تَجْعَلْنِي مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ} [الأعراف: 150]، فظاهر الخطاب نهيُ الأعداء عن الشماتة، والمعنى نهي هارون لأخيه ألا يوقع به مكروهًا فيتسبب عنه شماتة الأعداء. ومنه قوله تعالى: {وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ} [الأنفال: 25] فقد أسند النهي للفتنة، والمَعْنِى النهي عن فعلها أو مباشرتها، أي: لاتتعرضوا للفتن والذنوب فتصيبكم أثرها.

– تعزز (الإعادة المباشرة للعناصر) القوة الموجهة للمتلقي، والمحتوى القضوي؛ حيث يلجأ المتكلم إليه؛ لتوزيع الحروف أو الكلمات أو الجمل على المواقع وتنظيمها؛ إحداثًا لمبدأ التنظيم على المستوى الموقعي من جهة، وتعزيز استجابة المتلقي من جهة أخرى. كما أنه وسيلة للقوة الموجهة إلى المحتوى؛ لكونه مثيرًا حسيًّا لمجموعة من المنبهات الترابطية منها؛ الملحظ الإيقاعي، والتوقيع اللفظي للثراء الدلالي. وقد يكون التكرار وسيلة إرهاصية، أو تعقيبية، أو تذييلية تدعم التذييل ذو الاستقطاب المتماثل. أو تستدعي الاستقطاب المتناظر. هذا يجعلنا نميز بين نوعين من التكرار؛ الأول: التكرار الثابت المعتمد على تواتر المواد القارة،

ومبعثه التماثل؛ ومن ثم يوزع أو يوقف التدفق النغمى الصيرورة النغمية والبنائية إلى وحدات مستقلة. والآخر: التكرار المتجدد الذي يتخلق من بنية الأحداث النغمية المتجاورة؛ لذا يلازمه الحركة والتنوع والتناظر؛ اعتمادًا على حركة الذهاب والإياب؛ ليتولد عنه الارتباط، أو التماسك النصى، وهو ما تعمدت الدراسة إظهاره.

– يدحض البحث رؤية المحدثين الغربين، أمثال هاليداى ورقية حسن **Hallidy.Hassan** في قولهم: "كلما زاد الحشو زاد الترابط". ويؤكد البحث أن الارتباط قد لا يتولد عن الحشو، بل قد تخلو الجملة من الحشو الوظيفي وبها أعلى درجات الاتساق الذى يتحدد بنوع تجانس تعالق الأحداث، ويحكمه مبادىء السبق، واللحوق، والتعاقب، ولا أدلّ على ذلك من (سورة الصمد)؛ حيث خلت الجمل الثلاث الأولى من علامات الربط الخطية، اعتمادًا على الترابط بين الآيات، فكونه إلهًا يستلزم كونه أحدًا، وكونه أحدًا يستدعي كونه صمدًا، والألوهية والصمدية يلزمان أنه لاشبيه له ولا نظير؛ لذا سيقت لمعنى وغرض واحد وهو نفي المماثلة عنه تعالى بوجه من الوجوه.

– تعزز روابط المخالفة قوة الملفوظ، وقد تقوم هذه الفنية على علاقات النقض والإبطال؛ لبيان حال فريقين متقابلين فى الأماكن والصفات والجزاء. كما تعمد الإضافية التراكمية إلى تكملة الكلام السابق، أو إضافة معلومات جديدة. واختلف المحدثون العرب والغرب فى تسميتها، فأطلق عليها منير سلطان (الإضافة التراكمية)، بينما يرى "يوري لوتمان" أن (الإضافة التدريجية) هى التسمية المناسبة. لكن "فان دايك" صرح بمفهوم أوعب، جامعًا بين الربط والارتباط، وهو (الرابطية أو المربوطية). ورجح البحث مصطلحًا آخر يجمع بين الارتباط، والتدريج هو: (الارتباط التراكمي)؛ لكونه أكثر إشارة إلى أن النص آخذٌ برقاب بعضه بعضًا، قائمٌ على تضاعف الإحساس وتعميقه، والتباعد بين أركانه، وتوسع أرجائه. ويظهر في الخطاب القرآني في كثير من المواضع، ومن أمثلته سورة الناس التي ارتبطت تداوليًّا بـ (المعوذتين)، وتعبيريًّا ومرجعيًّا بـ(الناس)؛ حيث انسجمت انسجامًا عضويًّا بالنص. وتضمنت توجيّهًا ومُوجهًا ومُوجهًا له. مع افتتاح السورة الدال على تعيين الفعل الأدائي بالأمر الموجه لمتلقٍ خاص، وهو النبي صلى الله عليه وسلم، أو متلقٍ عام، وهم أمته.

– جاءت القوة الحجاجية فى الخطاب القرآني موزعة بين <u>القوة الحجاجية للسلم الحجاجي</u>؛ حيث إن كل منطوق يقع فى مرتبة ما يفسره ما يأتي بعده، بحيث يلزم عن المنطوق الأول جميع المنطوقات التي تليه، وكل منطوق في السلم دليلًا على مدلول بعينه، وما يعلوه هو دليل عليه في معظم الأحيان، وقد تحقق ذلك– على سبيل المثال– في سورة الصمد، وفي موعظة لقمان لابنه. وجاءت موزعة بين <u>الطبقة الحجاجية</u>، متحققة بين الطبقة نفسها فيكون التواصل أفقيًّا أو رأسيًّا، أو بين الطبقات المختلفة؛ فيكون موزعًا بين الأفقي والعمودي مثلما حدث بين موسى عليه السلام وفرعون. كما وُزعت بين <u>الروابط الحجاجية</u> التي تؤسس للعلاقات من قبيل (التتابع، التدريج، السببية، الاستنتاج، التخالف، التناقض، ....). يظهر من هذا التوزيع أن تلك الروابط وما تحدثه من علاقات هى العنصر الفاعل والرئيس في تحديد فاعلية السلم الحجاجي، والقصد من هذا كله تعديل القوة الإنجازية للخطاب المراد إنجازه...

الهـــوامـش:

(1) تعد مرحلة أوستين هى مرحلة التأسيس للفعل الإنجازى؛ حيث عمد إلى تحليل "النطق بالعبارة"؛ الذى يشتمل على: الفعل االفونطيقى، والفعل النطقى، والفعل الخُطْبِى(بضم الخاء). وقد جعل للفعل الكلامى أنواعًا ثلاثة؛ فعل الكلام/ اللفظى، وقوة فعل الكلام/ الفعل الإنجازى، ولازم فعل الكلام الفعل التأثيرى. ينظر: نظرية أفعال الكلام العامة (كيف ننجز الأشياء بالكلام) (ص: 111: 113). ثم جاء سيرل تلميذ أوستين واضعًا الأسس المنهجية للنظرية الإنجازية. واختلف سيرل عن أستاذه فى تمييزه لأقسام الفعل الكلامى؛ حيث جعل الفعل الإنجازى يحتل المرتبة الكبرى؛ معللا لذلك بالقصدية المرادة منه. للمزيد ينظر: نظرية الأفعال الكلامية بين فلاسفة اللغة المعاصرين والبلاغيين العرب،(ص30: 32). ونشأت بعد ذلك نظريات معاصرة، لاسيما اللسانيات التوليدية ومن أبرز أعلامها "كاتز"، ولسانيات النص؛ ومن أعلامها"موتش وبيجر". ثم نجد عند غرايس "مبدأ التعاون، ومسلمات المحادثة، حيث تنبثق نظريتان؛ الأولى: نظرية المحادثة التى يتفرع عنها النسبية اللغوية، والأخرى: نظرية الملاءمة التى تنتج الإدراكية والنمذجة المعممة. ينظر: المقاربة التداولية، (ص: 60).

(2) مختصر المعانى في شرح تلخيص المفتاح، (ص: 30).

(3) نظرية التـلقى والأسلوبية، منهاج التقابل الدلالى والصوتى(مج33/ 71).

(4) أطلق عليه عبد القاهر (ت: 471هـ) المغالطة. ينظر: دلائل الإعجاز (138). وسماه السكاكى (ت: 626هـ) الأسلوب الحكيم. ينظر: مفتاح العلوم (ص: 327). وتبعه بهاء الدين السبكى(ت: 773 هـ). ينظر: عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح (1/ 283). ووسمه الزركشي (ت: 794هـ): بـ (العدول) قائلًا: الأصل فى الجواب أن يكون مطابقًا للسؤال إذا كان متوجهًا، وقد يعدل فى الجواب تنبيهًا على أنه كان من حق السؤال أن يكون كذلك". ينظر: البرهان في علوم القرآن (4/ 42). وأطلق ابن أبى الإصبع(ت: 654هـ) عليه مصطلح: "الحيدة والانتقال" ينظر: تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر، (ص: 565). وتبعه فى ذلك السيوطى(ت: 911هـ)، الإتقان في علوم القرآن (4/ 65). ونهج ذلك أحمد أحمد البدوي (ت: 1384هـ). من بلاغة القرآن (ص: 281).

(5) قسم علماء الأصول الألفاظ والعبارات والنصوص من حيث ظهور معناها إلى نوعين: (محكم/ واضح الدلالات) على معناه، ونوع غامض الدلالة، ويطلق عليه العلماء: (المتشابه)، وكل نوع يندرج تحته أنواع، فالنوع الأول يضم: (الظاهر، النص، المفسر، المحكم)، والنوع الآخر يضم: (الخفي، المشكل، المجمل، المتشابه). ينظر: الإتقان(1 / 233).

(6) تعديل القوة الإنجازية، (ص:137).

(7) نظرية أفعال الكلام العامة، (ص:70).

(8) نظرية التأويل (الخطاب وفائض المعنى) (ص: 13، 14).

(9) ينظر: تعديل القوة الإنجازية (دراسة فى التحليل التداولى للخطاب)، (ص:140).

(10) النص والسياق(استقصاء البحث فى الخطاب الدلالى والتداولى)، (ص:256، 257).

(11)التحليل اللغوى عند مدرسة أكسفورد، (ص: 142).

(12) ينظر: الملفوظية (دراسة)، (ص: 20: 22).

(13) اتجاه المطابقة فى الغرض الإخبارى من القول إلى العالم، ولا يوجد شرط عام فى المحتوى القضوى؛ لأن كل قضية تشكل المحتوى التقريرى؛ حيث إنَّ اتجاه المطابقة فى الغرض التوجيهى؛ يكون من العالم إلى القول، واتجاه المطابقة يكون من المتلقى وقدرته على إنجاز ما طلب منه، واتجاه المطابقة فى الغرض الوعدى يكون من المتكلم، أى من العالم إلى القول، وبالتالى قدرة المتكلم على إنجاز ما ألزم به نفسه. أما القضايا المرتبطة بالغرض التعبيرى فليس هناك شرط عام لمحتواها القضوى؛ لذا فهى مرتبطة بطرفي التواصل. أما الإعلانيات فهى قريبة من التعبيريات واتجاه المطابقة فيها اتجاهًا مزدوجًا؛ لذا يكفى إنجازها وفقًا لنجاح تلقيها وتفهم كلا الطرفين لها. ينظر: نظرية الأفعال الكلامية بين فلاسفة اللغة المعاصرين والبلاغيين العرب، (ص:30: 32).

(14) نظرية أفعال الكلام العامة (كيف ننجز الأشياء بالكلام)، (ص:15، 17، 20، 53).

(15) ينظر: التحليل اللغوى عند مدرسة أكسفورد، (ص: 142).

(16) نظرية أفعال الكلام العامة (كيف ننجز الأشياء بالكلام)،(ص: 15: 17).

(17) نفصل ذلك عن طريق مثال: (حينما نقول: ضاع، وأظنه ضاع، وأسفاه، ضاع.) وحينما نقول: (توقف عن الكلام! وتوقف عن الكلام، من فضلك!، وتوقف عن الكلام راضيًا أو غير راضٍ!)، نلاحظ فى الغرض الإنجازى الإخبارى فى المثال الأول تتداخل علامات القوى بالإنقاص فى الدرجة؛ لأنها تضعف قوة التبليغ فى الغرض الإنجازى بإضافة: (أظنه)، وتزيده قوة فى المنطوق: (وأسفاه) حيث يمتلك المنطوق قوة الأسف على الوضع الراهن، ومن هنا تتعدد الأغراض فى الجمل الثلاث. وفى المثال الآخر: تضعف قوة الأمر إلى الالتماس، بالمنطوق: (من فضلك)؛ حيث يمنح المتلقى حرية الاختيار فى عمل الشيء. أما الملفوظ : (راضيًا أو غير راضٍ!) فإنه يلغى حق المتلقى فى الاختيار، والإرغام على الفعل. ينظر: تعديل القوة الإنجازية (دراسة فى التحليل التداولى للخطاب)، (ص:142).

(18) ينظر: مفتاح العلوم (ص: 171، 174، 197، 209، 211، 238، 239).

(19) ينظر: البلاغة والأسلوبية (ص: 267).

(20) ينظر: نظرية أفعال الكلام العامة(كيف ننجز الأشياء بالكلام)، (ص: 40: 42).

(21) آفاق جديدة فى نظرية النحو الوظيفى (ص: 22).

(22) تكلم العرب عن المعانى الثوانى التوليدية التى تنبثق من المعانى الحرفية وتتولد عنها وفقًا للمقام الذى سيقت فيه. ينظر: دلائل الإعجاز،(ص:242). -خصائص التراكيب، دراسة تحليلية لمسائل علم المعانى،(ص: 80).- فى البنية والدلالة، رؤية لنظام العلاقات فى البلاغة العربية (ص: 90).

(23) الملفوظية (دراسة)، (ص: 62).

(24) ينظر: نحو نظرية عربية للأفعال الكلامية، (ص:179).

(25) دلائل الإعجاز،(ص:262).

(26) ينظر: نظرية الحدث اللغوى، مجلة الدراسات اللغوية،(ص: 11، 23، 52).

(27) ينظر: نظرية أفعال الكلام العامة، (ص 96: 99).

(28) الملفوظية (دراسة)، (ص: 63).

(29) ينظر: تعديل القوة الإنجازية (دراسة فى التحليل التداولى للخطاب)، (ص:139).

(30) السابق، (ص: 141) .

(31) الأصول المعرفية لنظرية التلقى (ص: 70).

(32) ينظر: نظرية أفعال الكلام العامة(ص: 94).

(33) البخلاء (ص: 37).

(34) تعديل القوة الإنجازية (دراسة فى التحليل التداولى للخطاب)، (ص:138، 139).

(35) أولمان، دور الكلمة (114، 115). وللمزيد ينظر: كريم زكى، التحليل الدلالى (ص: 27).

(36) مفتاح العلوم (ص: 321).

(37) البيـان فى روائع القرآن، (2/ 123).

(38) ينظر: نظرية أفعال الكلام العامة (كيف ننجز الأشياء بالكلام)، (ص: 93).

(39) إن ظروف النطق بالعبارة هو الأداة المعينة على معرفة الغرض منها، وهى المظهر الرئيس الذى يعين على التواصل وفهم الخطاب. ينظر: نظرية أفعال الكلام العامة(كيف ننجز الأشياء بالكلام)، (ص:93).- تعديل القوة الإنجازية (دراسة فى التحليل التداولى للخطاب)، (ص:141). آفاق جديدة فى البحث اللغوى، (ص:110).

(40) مفتاح العلوم (ص: 304).

(41) ينظر: تعديل القوة الإنجازية (دراسة فى التحليل التداولى للخطاب)، (ص: 145، 146).

(42) ينظر: قضايا اللغة العربية فى اللسانيات الوظيفية (بنية الخطاب من الجملة إلى النص)، (ص: 163)، يُقصد بالقوة الإنجازية الحرفية: تعيين القوة عن طريق مؤشرات أسلوبية تصطبغ بها الجملة. ويقصد بالمعانى الحوارية: الدلالات المولدة وفقًا للسياق المنجَز فيه النص، ومن ثمَّ فإن المعانى الضمنية صنفان؛ معانٍ ناتجة عن سياق خاص، ومعانٍ بالغة العموم. ويطلق عليها غرايس: الاستلزامات الحوارية الخاصة، والاستلزامات الحوارية المعممة. ينظر: التداولية عند العلماء العرب"، (ص:34: 36). ويقصد بالمعانى العرفية: الدلالات التى ترتبط بالجملة ارتباطًا يجعلها لا تتغير بتغير المقامات. لكن هناك معانى عرفية ضمنية مثل: الاستلزام المنطقى، والاقتضاء. تكلم الدكتور المتوكل عنها باستفاضة. ينظر: اللسانيات الوظيفية المقارنة "دراسة فى التنميط والتطور"(ص: 28: 37).

(43) ينظر: آفاق جديدة فى نظرية النحو الوظيفى، (ص: 25). إن العبارة اللغوية الواحدة قد تحمل إضافةً إلى قوتها الحرفية أكثر من قوة مستلزمة، وقد نصَّ السكاكى على ذلك: كما إذا قلت لمن تراه يؤذي الأب: (أتفعل هذا؟)، امتنع توجه الاستفهام على فعل الأذى لعلمك بحاله، وتوجه على ما لا تعلم مما يلابسه من نحو: (أتستحسن؟)، وتولد الإنكار والزجر. أو كما إذا قلت لمن يهجو أباه، مع حكمك بأن هجو الأب ليس شيئا غير هجو النفس: (هل تهجو إلا نفسك أو غير نفسك؟)، امتنع منك إجراء الاستفهام على ظاهره؛ لاستدعائه أن يكون الهجو احتمل عندك توجهًا على غيره، وتولد منه ؛ بمعونة القرينة؛ الإنكار والتوبيخ. ينظر: مفتاح العلوم (ص: 304). واشتقاق مجموع القوى الإنجازية يتمثل فى كون القوى الاشتقاقية متحجرة جزئيًّا، أو غير متحجرة مطلقًا، فتنتج مجموعة من التشكلات الإنجازية. أما إذا جنحت نحو التحجر التام فحينئذٍ تحل القوة المشتقة محل القوة الحرفية، ويظل ذلك محكومًا بقصدية المتكلم، والكيفية التى يستقبل بها المتلقى المنطوق، والخلفية المعلوماتية والإدراكية لديه، واستيعابه الشروط المحددة لمناسبة سياق الحال.

(44) ينظر: نظرية أفعال الكلام العامة (كيف ننجز الأشياء بالكلام)، (ص: 91، 92).

(45) ينظر: مناهج البحث فى اللغة، (ص: 198).

(46) السلسلة الألسنية: علم وظائف الأصوات اللغوية (الفونولوجيا)، (ص:88). وللمزيد من أثر الإيقاع فى الإقناع والتأثير. ينظر: الإبلاغية فى البلاغة العربية، (ص: 67).

(47) بناء لغة الشعر، (ص: 117).

(48) يحكى أن رجلًا ضرب ابنًا له، فقالت له أمه: لا تضربه، ليس هو ابنك؛ فرافعها إلى القاضى فقال: هذا ابني عندي، وهذه أمه تذكر أنه ليس مني. فقالت المرأة: ليس الأمرُ على ما ذكره، وإنما أخذ يضرب ابنه، فقلت: لا تضربه ليس هو ابـ (نَـــ) ك، ومدت فتحة النون، فقال الرجل: والله ما كان فيه هذا التطويل. المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها (210/2).

(49) الخصائص (1/ 333).

(50) البـلاغة والأسلوبية، (ص:245).

(51) التوجيه البلاغى للقراءات القرآنية، (ص: 285).

(52) إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر(ص: 466).المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها(208/2).

(53) النحاس، إعراب القرآن (3/ 264).

(54) السابق (3/ 264).

(55) الزجاج، معاني القرآن وإعرابه (4/ 284).

(56) البحر المحيط في التفسير (9/ 60).

(57) الكشاف (5 / 430)- المحرر الوجيز(5 / 389).
(58) المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها (208/2).
(59) السابق (210/2).
(60) ينظر: البرهان في علوم القرآن (4/ 430).
(61) ينظر: روح المعاني (6/ 424).
(62) المبسوط في القراءات العشر (ص: 246).
(63) مسند أحمد (43/ 230).
(64) الملفوظية (دراسة)، ص: (18).
(65) ينظر: نظرية أفعال الكلام العامة (كيف ننجز الأشياء بالكلام)، (ص: 92: 94). -تعديل القوة الإنجازية (دراسة فى التحليل التداولى للخطاب)، (ص141، 142) . آفاق جديدة فى البحث اللغوى،(ص:110، 111).
(66) ثم أنهم وضعوا ترتيبًا لبعض الأفعال من حيث درجة شدتها، فقالوا: فى فصل ترتيب الحب؛ أول مراتب الحب الهوى، ثم العَلاقَة، وهى الحب اللازم للقلب، ثم الكَلَف وهو شدة الحب، ثم العشق وهو اسم لما زاد عن المقدار المسمى بالحب، ثم الشعف بالعين، وهو احتراق القلب مع لذة يجدها، ثم الشغف بالغين، وهو أن يبلغ الحب شغاف القلب، ثم الجوى وهو الهوى الباطن، ثم التَّتَيُّم وهو أن يستعبده الحب، ثم التَّبْل وهو أن يسقمه الحب، ثم التَّدَلُّه وهو ذهاب العقل، ثم الْهُيَام وهو أن يذهب الرجل على وجهه لِغَلَبَةِ الْهَوَى عليه. ينظر: الفروق اللغوية (ص: 52، 54، 122، 259).
(67)الخصائص (2/ 373).
(68) صحيح مسلم (4/ 2045).
(69) تهذيب اللغة (6/ 243).
(70) عمر السلامى، الإعجاز الفني في القرآن الكريم، (ص: 94).
(71) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (1/ 339).
(72) الأزهري، معاني القراءات (1/ 407).
(73) المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها (2/ 103).
(74) لباب النقول (ص: 169)
(75) حجة القراءات (ص: 623).
(76) الفراء، معاني القرآن (2/ 420).
(77) ينظر: لم تعثر الباحثة على تلك القراءة فى كتب القراءات، ولكنها موجودة فى كتب التفاسير وكتب معانى القرآن، مثل: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (4/ 129). البحر المحيط في التفسير (9/ 205). قال الزجاج: ولو قرئت: "كافِي عَبْدِه "، و" كافي عِبادِه " لجازَتْ، ولكن القراءة سنة لا تخالف. الزجاج، معاني القرآن وإعرابه (4/ 354).
(78) اللامات (ص: 73).
(79) العكس: أن يُؤْتى بكلام يقدَّم فيه جزء ويؤخَّر آخر، ثم يقدم المؤخر ويؤخر المقدم، كقوله تعالى: {ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ} [الحج: 61]. وقوله تعالى: { وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ} [يونس: 31] . {لَا هُنَّ حِلٌّ لَهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ} [الممتحنة: 10]. ينظر: معترك الأقران في إعجاز القرآن (1/ 308).
(80) من أجمل أنواع ائتلاف المعنى مع المعنى بذكر الأمور المتناسبة بعضها إلى جانب بعض قوله سبحانه:{ قالَ إِنَّما أَشْكُوا بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ }(يوسف: 86). وقد يخفى في بعض الأحيان وجه الجمع بين المعنيين، كما في قوله: {إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيها وَلا تَعْرى. وَأَنَّكَ لا تَظْمَؤُا فِيها وَلا تَضْحى} (طه: 118، 119). فقد يبدو أن وجه الجمع بين: (الجوع والظمأ)، و(العرى

والضحاء)، ولكن التأمل الهادئ يدل على أن الجوع والعرى يسببان الشعور بالبرد فجمعا معًا، والظمأ والضحاء يسببان الشعور بالحر. ينظر: عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح (2/ 240)- الأطول شرح تلخيص مفتاح العلوم(1/ 100).

(81) لسان العرب (11/ 391).

(82) اللامات (ص: 72).

(83) المقتضب (4/ 188).

(84) [الرعد: 33]، [الزمر: 23]، [الزمر: 36]، [غافر: 33].

(85) تكلم الدكتور المتوكل عن ضوابط الوصف اللغوى مبينًا وظيفة اللغة، وموضوع الوصف اللغوى، وضوابطه، والكفاية التداولية، والنفسية، والنمطية. ينظر: قضايا اللغة العربية فى اللسانيات الوظيفية(البنية التحتية أو التمثيل الدلالى التداولى)(16: 22).

(86) المفردات في غريب القرآن (ص: 714).

(87) المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها (2/ 127).

(88) التبيان في إعراب القرآن (2/ 995).

(89) الفراء، معاني القرآن (2/ 279).

(90) السابق (2/ 279).

(91) نفسـه (2/ 279).

(92) الحجة للقراء السبعة (4/ 65). ومنه قول عمر بن أبي ربيعة من قصيدة قالها: فى عائشة بنت طلحة:

فوالله مَا أَدْرِي وَإِنّى لحاسبٌ... بِسبع رَمَيْتُ الجَمْرَ أم بِثَمَانِ

والتقدير: (أبسبع؟)، والمعنى: ألهاني النظر إليهن، واشتغال البال بهن عن تحصيل رميهن الجمار بمنى، وعن علم عدد مرات أهي سبع أم هى ثمان؟ ينظر: ديوان عمر بن أبي ربيعة، (1/ 209).

(93) النحاس، إعراب القرآن (3/ 121).

(94) ينظر: تعديل القوة الإنجازية (دراسة فى التحليل التداولى للخطاب)، (ص: 148).

(95) الملفوظية (دراسة)، (ص: 21).

(96) صحيح البخاري (8/ 156).

(97) الحجة في القراءات السبع (ص: 187).

(98) السابق (ص: 187).

(99) الحجة لمن فتح اللّام وشدد النون أنه أراد: تأكيد النهى، فالتقى ساكنان: سكون اللام للجزم، وسكون النون المدغمة، فحركت اللام؛ لالتقاء الساكنين، وبقيت النون على فتحها. ويقرأ بإسكان اللام ونون وياء بعدها، والحجة لمن أسكن اللّام: أنه جعل السكون علامة للجزم بالنّهى، والنون والياء كناية عن اسم الله تعالى فى محلّ نصب. وقرأه بعض القرّاء بكسر النون. والحجة له أنه: خزل ياء الإضافة، واجتزأ بالكسرة منها. ينظر: الحجة في القراءات السبع (ص: 187).

(100) التحرير والتنوير (12/ 85).

(101) اللسانيات وعلم الدلالة (ص:100).

(102) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (2/ 398).

(103) يطلق عليه: (التركيب الكيميائى)، و(هندسة النظم)، و(الإبداع الجمالي)؛ بحيث لا تجد نشازًا فى التركيب لا لفظًا ولا معنى؛ وذلك أن أسلوب القرآن من هذه الوجهة مركبٌ تركيبًا دقيقًا، بحيث تقرب منه التراكيب المعملية التى توزن على مقادير بالغة الدقة، ولا تؤتى النتيجة المأمولة منها إذا اختلت هذه التراكيب فى جزء من مائة منها. ينظر: أسرار التكرار في القرآن،

المسمى بـ (البرهان في توجيه متشابه القرآن لما فيه من الحجة والبيان)، (ص:44، 48)، مقدمة الكتاب، بقلم المحقق: عبد القادر أحمد عطا.

(104) بـلاغة الخطاب وعلم النـص، (ص: 206، 207).

(105) ينظر: لسانـيات النـص، (23، 24).

(106) تأويل مشكل القرآن، (ص: 235).

(107) إنَّ القراءة التعاقبية والقراءة التكرارية تفرضان شكل القراءة؛ فالأولى تبنى مفهومًا تراكميًّا، وبنمو منطقي: من البداية إلى النهاية. أما الأخرى، فهي قراءةٌ مرنة تصل إلى مفهومها عبر تجميع الواحدات أو العناصر ذهابًا وإيابًا فى النص نفسه، وفق ما يقتضيه التكرار أو ما يبنى عليه من أثر. ينظر: كتابة الذات دراسات فى وقائعية الشعر، (ص:86).

(108) الموسيقى بوصفها اختلافًا (ص:83).

(109) جميل عبد المجيد، بـلاغة النـص، (ص: 15، 16). علاقات الارتباط الأساسية الملحوظة فى الجملة هى: (علاقة الإسناد، وعلاقة التعدية، وعلاقة الإضافة، وعلاقة الملابسة، وعلاقة الظرفية، وعلاقة التحديد، وعلاقة السببية، وعلاقة التمييز، وعلاقة الوصفية، وعلاقة الإبدال، وعلاقة التأكيد). ينظر: اللغة العربية معنـاها ومبنـاها (ص:187 : 190). وينظر: نظام الارتباط والربط فى الجملة العربية، (ص: 161).

(110) ينظر: نظرية أفعال الكلام العامة (كيف ننجز الأشياء بالكلام)، (ص: 93).

(111) ينظر: الحجاج فى الشعر العربى القديم من الجاهلية إلى القرن الثانى للهجرة بنيته وأساليبه (ص: 318).

(112) ينظر: الحجاج بين النظرية والأسلوب، عن كتاب نحو المعنى والمبنى (ص: 21: 25).

(113) ينظر: لسانيات النـص ، (ص: 38، 39).

(114) المفارقة القرآنية، (ص: 44).

(115) النـص والخطاب والإجراء، (ص: 302).

(116) بـلاغة الكلمة فى التعبير القرآنى، (ص: 33).

(117) دلائـل الإعجـاز، (ص: 222). ولا يعنينا –فى هذا المقام– الربط الخطى الذى يقوم على الجمع بين جملة سابقة وأخرى تلحقها، فيفيد مجرد الترتيب مثل (الواو فى العربية). أو الذى يقوم على الجمع، ولكنه يدخل معنى آخر يتعين به نوع العلاقة بين الجملة والجملة التالية، مثل "الفاء" و "ثم" و "أو" لكن يعزز البحث الروابط السببية، وروابط المخالفة، وروابط الإضافة بوصفها قواطع أسلوبية تعزز قوة المحتوى وتعمد على تكامله، وتزيد القوة الموجهة للمخاطَب، بقصدية من المتكلم. وهناك فرق واضح بين الربط الخطى الذى يتحقق من خلال أدوات الربط النحوية، ويمكن تتبعه على المستوى السطحى للنص. والثانى الذى يتحقق من خلال وسائل دلالية، ويتمثل فى المستوى العميق للنص، فهو ذو طبيعة دلالية تجريدية تظهر من خلال علاقات وتصورات تعكسها الكلمات والجمل. ينظر: علم لغة النـص المفاهيم والاتجاهات، (ص:120).

(118) ينظر: تعديل القوة الإنجازية (دراسة فى التحليل التداولى للخطاب)، (ص: 148)، آفاق جديدة فى البحث اللغوى، (ص:110، 111).

(119) نحو أجرومية للنـص الشعرى (ص:227).

(120) البيان فى روائع القرآن (1/ 152).

(121) الكتاب (3/ 16).

(122) التحرير والتنوير (7/ 264).

(123) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (2/ 30).

(124) تقوم على المخالفة على وضع لغوي يتركب من عناصر لغوية تقوم في الأصل على "المواجهة، لكنها تعنى الضد غبر المباشر، مثل قوله تعالى: وَيَاقَوْمِ مَا لِي أَدْعُوكُمْ إِلَى النَّجَاةِ وَتَدْعُونَنِي إِلَى النَّارِ (41) تَدْعُونَنِي لِأَكْفُرَ بِاللَّهِ وَأُشْرِكَ بِهِ مَا

لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَأَنَا أَدْعُوكُمْ إِلَى الْعَزِيزِ الْغَفَّارِ} [غافر: 41، 42]. وقوله تعالى: {وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا صُمٌّ وَبُكْمٌ فِي الظُّلُمَاتِ مَنْ يَشَإِ اللَّهُ يُضْلِلْهُ وَمَنْ يَشَأْ يَجْعَلْهُ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ } [الأنعام: 39]. كما أنها تقوم على علاقة النقض والإبطال كما فى قوله تعالى: {أَمْ يَقُولُونَ بِهِ جِنَّةٌ بَلْ جَاءَهُمْ بِالْحَقِّ وَأَكْثَرُهُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ} [المؤمنون: 70] هذه العلاقة تنشأ فى طيات حركة العلاقات المتبادلة بين الجمل ثم علاقته بالكل البنائى للنص. وإذا كان التخالف علاقة ترابطية ذات بعد فنى ونفسى؛ يوظفها القارىء حتى يصل بها إلى النموذج الشامل للعمل كله؛ فإنه أيضًا أداة لأمن اللبس كما أعلن عن ذلك الدكتور تمام حسان فى قوله: "فإذا أحبت اللغة العربية التخالف؛ فلأنه يعين على أمن اللبس بواسطة ما يهيئه من المقابلات أو الفروق بين المتخالفين". اللغة العربية معناها ومبناها (ص: 265). وللمزيد عن العلاقات التناسبية. ينظر: يورى لوتمان، تحليل الخطاب الشعرى (ص: 27: 30). وينظر: البديع بين البلاغة العربية واللسانيات النظرية (ص: 144: 145).

(125) حجة القراءات (ص: 699).

(126) المفردات في غريب القرآن (ص: 652).

(127) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (4/ 475).

(128) السابق (4/ 475).

(129) المفردات في غريب القرآن (ص: 867).

(130) تقوم الإضافة التراكمية على تضاعف الإحساس وتعميقه، وتباعد بين أركانه، وتوسع أرجائه، على هذا فإن كل جملة بها ضروب من التلازم السيمانطيقى للجمل المتوالية التى توسم الخطاب بأنه مقبول؛ إذ إن العبارات قد تكون متسلسلة لكنها خالية من الاتساق، كما أن الربط قد يكون ضروريًا لكنه غير كافٍ لقبول الخطاب، وقد وضح الدكتور سعد مصلوح الدرجات التى يتحقق بها صفة الاستمرارية أو الاطراد؛ وهى صفة تعنى التتابع والتواصل، وذلك عن طريق شبكة هرمية متداخلة من الأنواع هى: (الاعتماد فى الجملة، الاعتماد فيما بين الجمل، الاعتماد فى الفقرة أو المقطوعة، الاعتماد فيما بين الفقرات أو المقطوعات، الاعتماد فى جملة النص) ينظر: نحو أجرومية للنص الشعرى (ص: 154، 155). وقد قسم فان دايك الشروط التى تحصل بها فائدة الاتساق إلى قسمين؛ الأول: متتالية خطية، والآخر: كلية شمولية. وقد استخدم مصطلح الترابط لدلالة علاقة مخصوصة بين الجمل، وإذا كان الربط بين الجمل دالًا على معنى سيمانطيقى فإننا نتحدث عن ربط القضايا. ثم إذا كان الحديث عن العلاقات بين الجمل وتمَّ توظيف مختلف أدوات الربط والارتباط فإننا نطلق عليه- حينئذٍ- مصطلح الرابطية أو المربوطية. ينظر: النص والسياق (استقصاء البحث فى الخطاب الدلالى والتداولى): (ص: 74).

(131) بلاغة الكلمة والجملة والجمل، (ص: 114).

(132) ينظر: تحليل النص الشعرى بنية القصيدة ، (27: 29).

(133) النـص والسياق (استقصاء البحث فى الخطاب الدلالى والتداولى)، (ص: 74).

(134) الواقع الجمالى وآليات إنتاج الواقع عند "فولفغانغ آيزر"(ص: 62، 63).

(135) الملفوظية (دراسة)، (ص: 20).

(136) فى حديث عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "أُنْزِلَ عَلَيَّ آيَاتٌ لَمْ أَرَ مِثْلَهُنَّ، أَوْ لَمْ نَرَ مِثْلَهُنَّ: الْمُعَوِّذَتَانِ" ينظر: مستخرج أبي عوانة (2/ 490).

(137) ينظر: فى البنية والدلالة: رؤية لنظام العلاقات فى البـلاغة العربية، (ص: 114، 115).

(138) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (4/ 823).

(139) حاشية الصبان على شرح الأشمونى لألفية ابن مالك (3/ 164).

(140) منير سلطان، الفصل والوصل في القرآن الكريم (ص: 206).

(141) المفصل في صنعة الإعراب، (ص293).

(142) المفردات في غريب القرآن (ص: 869).

(143) صحيح البخاري (8/ 49).
(144) المفردات في غريب القرآن (ص: 300).
(145) النُّكت في القرآن الكريم (في معاني القرآن الكريم وإعرابه)، (ص: 123، 124).
(146) معاني الأبنية فى العربية، (ص: 56).
(147) الترغيب في فضائل الأعمال وثواب ذلك(ص: 56).
(148) أحمد مختار عمر، أسس علم اللغة (ص: 85).
(149) مناهج البحث في اللغة (ص: 88).
(150) كمال بشر، علم الأصوات ، (294).
(151) برتيل مالمبرج، علم الأصوات، (ص: 14، 29).
(152) الكتاب (4/ 464).
(153) في النـص الأدبي دراسة إحصائية، (ص:34).
(154) جامع بيان العلم وفضله (2/ 903).
(155) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (4/ 824).
(156) وقد سوغ لهم ذلك بقرينة ذكر الجن بلفظة (رجال) فى قوله: {وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِنَ الْإِنْسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا} [الجن: 6] ينظر: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (4/ 824). ينظر: مفاتيح الغيب (32/ 378).
(157) العين (6/ 20).
(158) تهذيب اللغة (13/ 60).
(159) ينظر: نظرية أفعال الكلام العامة (كيف ننجز الأشياء بالكلام)، (ص: 93، 94).
(160) المفردات في غريب القرآن (ص: 876).
(161) التركيب اللغوى للأدب، (ص: 89، 90). وساق "ابن جنى" بابا أفرده لذلك، أطلق عليه (إمساس الألفاظ أشباه المعانى)، الخصائص (47/1).
(162) خصائص الحروف العربية ومعانيها، (ص: 83،84).
(163) المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي (ص: 59) يرى الدكتور أنيس: أن "الهاء عادة صوت مهموس يجهر به في بعض الظروف اللغوية الخاصة". الأصوات اللغوية(ص: 82)، ويرى الدكتور حسان: "أن صوت الهاء مجهور يتم النطق به بتضييق الأوتار الصوتية إلى مرحلة في منتصف الطريق بين الهمس والجهر" مناهج البحث في اللغة (ص: 103).
(164) عن صفات الحروف وخصائصها، ينظر: الأصوات اللغوية، (ص:20). – مناهج البحث فى اللغة، (ص: 113، 117، 130). – فقه اللغة المقارن،(ص: 126).
(165) التحرير والتنوير (21/ 162).
(166) الحجة لمن رفع: أنه جعل كان بمعنى: (حدث) و (وقع) فلم يحتج إلى خبر. والحجة لمن نصب: أنه أضمر في (كان) اسمًا معناه: وإن كان الشيء مثقال حبّة. السبعة في القراءات (ص: 429). الحجة في القراءات السبع (ص: 249).
(167) الحجة للقراء السبعة (5/ 456).
(168) من النـص إلى الفعل، أبحاث التأويل(ص: 117).
(169) ينظر: التفسير الكبير (15 / 413).
(170) قد يأتى النهى ضمنيًا فى صيغة الأمر الدالة على الكف مثل: (الأمر الدال على الترك، مثل: اتقِ، دَعْ، اتْرُكْ، كُفَّ، أَمْسِكْ)، ولفظ النهى، ولفظ التحريم، ونفى الحل، ونفى الفعل، ووصف الفعل بأنه شر، وجعله سببًا للإثم، وقرنه بوعيد. ينظر: كشف الأسرار شرح أصول البزدوي (1/ 256).

(171) إعجاز القرآن والبلاغة النبوية (ص: 58).
(172) المشترك اللفظي في الحقل القرآني (ص: 189).
(173) جمهرة اللغة (1/ 528).
(174) العين (1/ 363).
(175) تهذيب اللغة (2/ 91).
(176) الغريبين في القرآن والحديث (4/ 1272).
(177) تهذيب اللغة (2/ 92).
(178) فى قوله تعالى: {فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ}. [آل عمران: 159] وقوله تعالى: {طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَعْرُوفٌ فَإِذَا عَزَمَ الْأَمْرُ فَلَوْ صَدَقُوا اللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ} [محمد: 21]
(179) فى قوله تعالى: {وَإِنْ عَزَمُوا الطَّلَاقَ فَإِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ} [البقرة: 227].
(180) قوله تعالى: {وَلَا تَعْزِمُوا عُقْدَةَ النِّكَاحِ حَتَّى يَبْلُغَ الْكِتَابُ أَجَلَهُ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنْفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ } [البقرة: 235]. وقوله تعالى: {لَتُبْلَوُنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيرًا وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ } [آل عمران: 186] . وقوله تعالى: {وَلَمَنْ صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ} [الشورى: 43].
(181) فى قوله تعالى: {فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِلْ لَهُمْ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ بَلَاغٌ فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا الْقَوْمُ الْفَاسِقُونَ} [الأحقاف: 35].
(182) فى قوله تعالى: {وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَى آدَمَ مِنْ قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا} [طه: 115].
(183) روح المعاني (11/ 88).
(184) دلائل الإعجاز (ص: 207).
(185) جدلية الإفراد والتركيب، (ص:179).
(186) تهذيب اللغة (2/ 18).
(187) قرأ ابن كثير وابن عامر وعاصم ويعقوب (تُصَعِّرْ). وقرأ الباقون (ولا تُصَاعِر) بألف. ينظر: معاني القراءات (269/2).
(188) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم (7/ 73).
(189) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (10/ 290).
(190) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (3/ 497).
(191) البيت من معلقة الأعشى، ديوان الأعشى، رقم القصيدة:(6)، (ص: 55). ومطلعها:
ودّعْ هريرةَ إنّ الركبَ مرتحلُ... وهلْ تطيقُ وداعاً أيها الرّجلُ؟
(192) مسند أحمد (2/ 259).
(193) الصورة البيانية فى الموروث البلاغى (ص: 28).
(194)السنن الكبرى للنسائي (9/ 345).
(195)غرائب القرآن ورغائب الفرقان (5/ 426).
(196) ديوان المتنبى، (ص: 239). والقصيدة فى مدح أبى العشائر الحسين بن علي بن الحسين بن حمدان العدوي التغلبي، وهي أول شعره فى بني حمدان، ومطلعها:
أَتُرَاهَا لِكَثْرَةِ الْعُشَّاقِ ... تَحْسَبُ الدَّمْعَ خِلْقَةً فِي الْمَآقِي

المصـــادر والمـــراجـــع:

- الأزهرى، محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي (ت 370هـ):
  * تهذيب اللغة، تحقيق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط1، 2001م.
  * معاني القراءات، مركز البحوث في كلية الآداب، جامعة الملك سعود، المملكة العربية السعودية، ط1، 1991م.
- الإسفراييني، أبو عوانة يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم النيسابوري (ت: 316هـ): مستخرج أبي عوانة، تحقيق: أيمن بن عارف الدمشقي، دار المعرفة، بيروت، ط1، 1998م.
- ابن أبي الإصبع، عبد العظيم بن الواحد(ت: 654هـ): تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن، تحقيق: حفني محمد شرف، الجمهورية العربية المتحدة، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، لجنة إحياء التراث الإسلامى، القاهرة، 2012م.
- الأصبهاني، أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن موسى بن مهران(ت: 430هـ): حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، مطبعة السعادة، القاهرة، ط1، 1974م.
- الأعشى، ميمون بن قيس بن جندل بن قيس بن ضبيعة بن ثعلبة (7هـ/ 570: 629م) : ديوان الأعشى، تحقيق: محمد حسين، مكتبة الآداب بالجماميز، المطبعة النموذجية، د.ت.
- الألوسي، شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني (ت: 1270هـ): روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، تحقيق: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1415هـ.
- أنيس، إبراهيم: الأصوات اللغوية، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ط 4، 1965م.
- بحيرى، سعيد حسن: دراسات فى علم اللغة: علم لغة النص، المفاهيم والاتجاهات، مكتبة الأنجلو المصرية، ط1، 1993م.
- البخاري، عبد العزيز بن أحمد بن محمد، علاء الدين الحنفي (ت: 730هـ): كشف الأسرار شرح أصول البزدوي، تحقيق: عبد الله محمود عمر، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1997م.
- البخاري، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم الجعفي (ت:256هـ): صحيح البخاري=(الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه)، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، 1422هـ.
- البدوي، أحمد أحمد البيلي (ت: 1384هـ): من بلاغة القرآن، نهضه مصر، القاهرة، 2005 م.
- بشر، كمال: دراسات فى علم اللغة، دار غريب، القاهرة، ط1، 1998م.
- البناء، شهاب الدين أحمد بن محمد الدمياطيّ (ت: 1117هـ): إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر، تحقيق: أنس مهرة، دار الكتب العلمية – لبنان، ط3، 2006م.
- التفتازاني، سعد الدين (ت: 791هـ): مختصر المعانى في شرح تلخيص المفتاح، القاهرة، مكتبة البابي الحلبي، 1965م.

- الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر (ت: 255هـ): البخلاء، دار ومكتبة الهلال، بيروت، ط2، 1419 هـ .
- الجرجاني، أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن (ت: 471هـ): دلائل الإعجاز في علم المعاني، تحقيق: محمود محمد شاكر، مطبعة المدني، القاهرة ، ط3، 1992م .
- ابن جنى، أبو الفتح عثمان (ت: 392هـ):
  * الخصائص، تحقيق: محمد على النجار، تقديم: عبد الحكيم راضى، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، 2006م، مصورة عن طبعة دار الكتب المصرية 1952م.
  * المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها، تحقيق: علي النجدي ناصف/ عبد الحليم النجار/ عبد الفتاح إسماعيل شلبى، وزارة الأوقاف، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، 1999م.
- حسام الدين، كريم زكى: التحليل الدلالى إجراءاته ومناهجه، دار غريب، القاهرة، ط1، 2000م.
- حسان، تمام:
  * البيان فى روائع القرآن، عالم الكتب، القاهرة، ط2، 2000م.
  * اللغة العربية معناها ومبناها، دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب، 1994م.
  * مناهج البحث فى اللغة، عالم الكتب، القاهرة، 1990م.
- أبو حمدان، سمير: الإبلاغية فى البلاغة العربية، عويدات للنشر والطباعة، لبنان، ط1، 1993م.
- حميدة، مصطفى: نظام الارتباط والربط فى تركيب الجملة العربية، الشركة المصرية العالمية، لونجمان، القاهرة، 1997م.
- ابن حنبل، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني (ت: 241هـ): مسند الإمام أحمد بن حنبل، تحقيق: شعيب الأرنؤوط/ عادل مرشد، وآخرون، إشراف: عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، ط1، 2001 م.
- أبو حيان الأندلسي، محمد بن يوسف بن علي بن يوسف (ت: 745هـ): البحر المحيط في التفسير، تحقيق: صدقي محمد جميل، دار الفكر، بيروت، ط1، 1420 هـ.
- ابن خالويه، الحسين بن أحمد (ت: 370هـ): الحجة في القراءات السبع، تحقيق: عبد العال سالم مكرم، دار الشروق، بيروت، ط4، 1401هـ .
- خضر، ناظم عودة: الأصول المعرفية لنظرية التلقى، دار الشروق، عمان، الأردن، ط1، 1997م.
- خطابى، محمد: لسانيات النص: مدخل إلى انسجام الخطاب، المركز الثقافى العربى، بيروت، ط1، 1991م.
- الخليل بن أحمد، أبو عبد الرحمن الفراهيدي (ت: 170هـ): العين، تحقيق: مهدي المخزومي/ إبراهيم السامرائي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 2003م.
- ابن دريد، أبو بكر محمد بن الحسن (ت: 321هـ): جمهرة اللغة، تحقيق: رمزي منير بعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت، ط1، 1987م.

- الدريدرى، سامية: الحجاج فى الشعر العربى القديم من الجاهلية إلى القرن القرن الثانى للهجرة بنيته وأساليبه،عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، إربد، الأردن، 2007م.
- الرازي فخر الدين، أبو عبد الله محمد بن عمر (ت: 606هـ): التفسير الكبير= مفاتيح الغيب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط3، 1420هـ .
- الراغب الأصفهانى، أبو القاسم الحسين (ت: 502هـ): المفردات في غريب القرآن، تحقيق: صفوان الداودي، دار القلم، دمشق، بيروت1412 هـ.
- الرافعي، مصطفى صادق بن عبد الرزاق (ت: 1356هـ): إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، دار الكتاب العربي، بيروت، ط8، 2005 م.
- ابن أبي ربيعة، عمر (ت:644: 712م): ديوان عمر بن أبي ربيعة، تحقيق: أحمد كرم الطبَّاع، دار القلم، بيروت ، لبنان، ط1، 1900م.
- أبو الرضا، سعد: فى البنية والدلالة (رؤية لنظام العلاقات فى البـلاغة العربية)، منشأة المعارف، الأسكندرية، ط1، 1987م.
- الزجاج، أبو إسحاق إبراهيم بن السري بن سهل (ت: 311هـ): معاني القرآن وإعرابه، تحقيق: عبد الجليل عبده شلبي، عالم الكتب، بيروت،ط1، 1988م.
- الزجاجي، أبو القاسم، عبد الرحمن بن إسحاق البغدادي النهاوندي (ت: 337هـ): اللامات، تحقيق: مازن المبارك، دار الفكر، دمشق، ط2، 1985م.
- الزركشي، أبو عبد الله بدر الدين بن بهادر(ت: 794هـ): البرهان في علوم القرآن، تحقيق: محمد أبو الفضل، دار إحياء الكتب العربية1957م.
- الزمخشري جار الله، أبو القاسم محمود بن عمرو (ت: 538هـ):
  * الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، دار الكتاب العربي، بيروت، ط3، 1407هـ .
  * المفصل في صنعة الإعراب، تحقيق: علي بو ملحم، مكتبة الهلال، بيروت، ط1، 1993م.
- ابن زنجلة، أبو زرعة عبد الرحمن بن محمد(ت: 403هـ): حجة القراءات، تحقيق: سعيد الأفغاني، دار الرسالة، ط5، 1997م.
- السامرائى، إبراهيم: فقه اللغة المقارن، دار العلم للملايين، بيروت،ط2، 1983م.
- السامرائي، فاضل صالح:
  * بـلاغة الكلمة فى التعبير القرآنى، دار عمار، الأردن، ط1، 1998م.
  * معاني الأبنية فى العربية، دار عمار، ط 2، 2007م.
- السبكي، بهاء الدين أبو حامد أحمد بن علي (ت: 773 هـ): عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط1، 2003م.
- سعد، أحمد سعد محمد: التوجيه البلاغى للقراءات القرآنية، مكتبة الآداب، القاهرة، ط4، 2009م.

- السكاكى، أبويعقوب يوسف بن أبى بكر(ت:626هـ): مفتاح العلوم، ضبطه وكتب هوامشه وعلق عليه: نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط2، 1987م.
- السلامى، عمر: الإعجاز الفنى فى القرآن، نشر وتوزيع مؤسسة عبدالكريم بن عبدالله، تونس، ط1، 1980م.
- سلطان، منير:
* بلاغة الكلمة والجملة والجمل، منشأة المعارف، الأسكندرية، 1993م.
* الفصل والوصل فى القرآن الكريم(دراسة فى الأسلوب)، منشأة المعارف، الأسكندرية، ط2، 1997م.
- سيبويه، أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر(ت: 180هـ): الكتاب، تحقيق: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط3، 1988م.
- السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر (ت: 911هـ):
* الإتقان في علوم القرآن، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب،1974 م.
* أسباب النزول (لباب النقول فى أسباب النزول)، ضبطه وصححه: الأستاذ أحمد عبد الشافي، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، لبنان، ط1، 2002م.
* معترك الأقران في إعجاز القرآن، ويُسمَّى (إعجاز القرآن ومعترك الأقران)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1988 م.
- ابن شاهين، أبو حفص عمر بن أحمد بن أزداذ البغدادي (ت: 385هـ): الترغيب في فضائل الأعمال وثواب ذلك، تحقيق: محمد حسن إسماعيل، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 2004 م.
- الصبان، أبو العرفان محمد بن علي (ت: 1206هـ): حاشية الصبان على شرح الأشمونى لألفية ابن مالك، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان،ط1، 1997م.
- صحراوى، مسعود: التداولية عند العلماء العرب" دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية فى التراث اللسانى العربى، دار الطليعة، بيروت، ط1، 2005م.
- الصكر، حاتم: كتابة الذات دراسات فى وقائعية الشعر، المركز العربى للمطبوعات، بيروت، لبنان، تموز،ط1، 1994م.
- الطبطبائي، طالب سيد هاشم: نظرية الأفعال الكلامية بين فلاسفة اللغة المعاصرين والبلاغيين العرب، مطبوعات جامعة الكويت، ط1، 1994م.
- طبل، حسن: الصورة البيانية فى الموروث البلاغى، مكتبة الإيمان، المنصورة، ط1، 2005م.
- الطرابلسى، محمد الهادى: خصائص الأسلوب فى الشوقيات، منشورات الجامعة التونسية، تونس، ط1، 1981م.
- طليمات، عبد العزيز: فعل القراءة: بناء المعنى وبناء الذات، ضمن نظرية التلقى إشكالات وتطبيقات، مطبعة النجاح الجديدة، الرباط، ط1، 1993م.

- ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر (ت: 1393هـ): التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»، الدار التونسية للنشر،تونس، 1984 هـ.
- عباس، حسن: خصائص الحروف العربية ومعانيها، منشورات اتحاد الكتاب العرب، ط1، 1998م.
- عبد البديع، لطفى: التركيب اللغوى للأدب (بحث فى فلسفة اللغة والاستطيقا)، دار المريخ، الرياض، ط1، 1989م.
- عبد التواب، رمضان: المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط3، 1997م.
- عبد الحق، صلاح إسماعيل: التحليل اللغوى عند مدرسة أكسفورد، دار التنوير، بيروت، لبنان، ط1، 1993م.
- عبد المجيد، جميل:
  * البديع بين البلاغة العربية واللسانيات النصية، الهيئة المصرية العامة للكتاب،2006م.
  * بـلاغة النـص (مدخل نظرى ودراسة تطبيقية)، دار غريب، القاهرة، 1999م.
- العبد، محمد:
  * تعديل القوة الإنجازية (دراسة فى التحليل التداولى للخطاب) فصول، ع: 65، القاهرة 2005م.
  * المفارقة القرآنية، دار الفكر العربى، القاهرة، ط1، 1994م.
  * نظرية الحدث اللغوى، مجلة الدراسات اللغوية،م2، ع4، 2001م .
- عبد المطلب، محمد:
  * البلاغة العربية، قراءة أخرى، لونجمان، القاهرة،ط1، 1997م.
  * البلاغة والأسلوبية، لونجمان، القاهرة،ط1، 1994م.
  * جدلية الإفراد والتركيب فى النقد العربى القديم، لونجمان، ط1، 1995م.
- ابن عربشاه، إبراهيم بن محمد عصام الدين الحنفي (ت: 943 هـ): الأطول شرح تلخيص مفتاح العلوم، حققه وعلق عليه: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 2001م.
- العسكري، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل(ت: 395هـ): الفروق اللغوية، تحقيق: محمد إبراهيم سليم، دار العلم والثقافة، القاهرة، 1997م.
- ابن عطية الأندلسي، أبو محمد عبد الحق بن غالب (ت: 542هـ): المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1422 هـ.
- العكبري، أبو البقاء عبد الله بن الحسين بن عبد الله (ت : 616هـ): التبيان في إعراب القرآن، تحقيق : علي محمد البجاوي، عيسى البابي الحلبي وشركاه، 1976م.

- أبو علي الفارسيّ، الحسن بن أحمد بن عبد الغفار (ت: 377هـ): الحجة للقراء السبعة، تحقيق: بدر الدين قهوجي/ بشير جويجابي، راجعه ودققه: عبد العزيز رباح/ أحمد يوسف الدقاق، دار المأمون للتراث، دمشق، بيروت، ط2، 1993م.
- عمر، أحمد مختار: أسس علم اللغة، عالم الكتب، ط8، 1998م.
- عياشى، منذر: اللسانيات والدلالة (الكلمة)، مركز الإنماء الحضارى، سوريا، ط1، 1996م.
- الفراء، أبو زكريا يحيى بن زياد (ت207هـ): معانى القرآن، تحقيق: أحمد يوسف نجاتى/ محمد على النجار، دار الكتب المصرية، القاهرة، ط1، 1995م.
- فضل، صلاح: بلاغة الخطاب وعلم النص، دار المعرفة، القاهرة، 1996م.
- ابن قتيبة الدينوري: أبو محمد عبد الله بن مسلم (ت: 276هـ): تأويل مشكل القرآن، شرح: السيد أحمد صقر، دار التراث، القاهرة، ط2، 1973م.
- القرطبي، أبو عمر يوسف بن عبد الله النمري (ت: 463هـ): جامع بيان العلم وفضله، تحقيق: أبي الأشبال الزهيري، دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية، ط1، 1994 م.
- الكرماني، تاج القراء، محمود بن حمزة بن نصر، أبو القاسم برهان الدين (ت: 505هـ): أسرار التكرار في القرآن المسمى (البرهان في توجيه متشابه القرآن لما فيه من الحجة والبيان)، تحقيق: عبد القادر أحمد عطا، مراجعة وتعليق: أحمد عبد التواب عوض، دار الفضيلة، ط1، 1977م.
- مبارك، محمد رضا: نظرية التلقى والأسلوبية (منهاج التقابل الدلالى والصوتى)، مج33، ع1، المجلس الوطنى للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 2004م.
- المبرد، محمد بن يزيد أبو العباس (ت: 285هـ):
  * الكامل في اللغة والأدب، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي، القاهرة، ط3، 1997م.
  * المقتضب، تحقيق: محمد عبد الخالق عظيمة، وزارة الأوقاف، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة، ط1، 1994م.
- المتنبى، أبو الطيب أحمد بن الحسين الجعفى(ت: 354هـ): ديوان المتنبى، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، 1983م.
- المتوكل، أحمد:
  * آفاق جديدة فى نظرية النحو الوظيفى، منشورات كلية الآداب، الرباط، ط1، 1993م.
  * قضايا اللغة العربية فى اللسانيات الوظيفية (البنية التحتية أو التمثيل الدلالى التداولى)، دار الأمان للنشر والتوزيع، الرباط، ط1، 1995م.
  * قضايا اللغة العربية فى اللسانيات الوظيفية (بنية الخطاب من الجملة إلى النص)، دار الأمان للنشر والتوزيع، الرباط، ط1، 2001م.
  * اللسانيات الوظيفية المقارنة "دراسة فى التنميط والتطور"، منشورات الاختلاف، الجزائر، 2012م.

- المجاشعي، أبو الحسن علي بن فضال ،(ت/ 479): النُكت في القرآن الكريم (في معاني القرآن الكريم وإعرابه)، تحقيق: عبدالله عبدالقادر الطويل، دار الكتب العلمية، بيروت،ط1، 2007م .
- ابن مجاهد، أحمد بن موسى بن العباس التميمي (ت: 324هـ): كتاب السبعة في القراءات، تحقيق: شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة، ط2، 1400هـ.
- مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري (ت:261): المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم=(صحيح مسلم)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط1، 1991م.
- مصلوح، سعد عبد العزيز:
  * في النـص الأدبي دراسة إحصائية، عين للدراسات والبحوث، القاهرة، ط1، 1993م.
  * نحو أجرومية للنـص الشعرى، مجلس النشر العلمى، الكويت، 2003م.
- مكرم، عبد العال سالم: المشترك اللفظي في الحقل القرآني، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط2، 1417هـ.
- ابن منظور، أبو الفضل محمد بن مكرم (ت: 711هـ): لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط3، 1414هـ.
-ابن مِهْران النيسابوريّ، أبو بكر أحمد بن الحسين (ت: 381هـ): المبسوط في القراءات العشر، تحقيق: سبيع حمزة حاكيمي، مجمع اللغة العربية، دمشق، 1981م.
- أبو موسى، محمد محمد: خصائص التراكيب دارسة تحليلية لمسائل علم المعاني، مكتبة وهبة، القاهرة، ط4، 1996م.
- النَّحَّاس، أبو جعفر أحمد بن محمد المرادي (ت: 338هـ): إعراب القرآن، وضع حواشيه وعلق عليه: عبد المنعم خليل إبراهيم، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1421 هـ.
- نحلة، محمود أحمد: نحو نظرية عربية للأفعال الكلامية،م1، ع1، مجلة الدراسات اللغوية، الرياض، أبريل- يونيو 1999م.
- النسائي، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب الخراساني (ت: 303هـ): السنن الكبرى، حققه وخرج أحاديثه: حسن عبد المنعم شلبي، أشرف عليه: شعيب الأرناؤوط، تقديم: عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 2001 م .
- نور الدين، عصام، السلسة الألسنية: علم وظائف الأصوات اللغوية (الفونولوجيا)، دار الفكر اللبنانى، بيروت، ط1، 1992م.
- النيسابوري، نظام الدين الحسن بن محمد القمي (ت: 850هـ): غرائب القرآن ورغائب الفرقان، تحقيق: الشيخ زكريا عميرات، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1416 هـ.
- الهروي، أبو عبيد أحمد بن محمد (ت: 401 هـ): الغريبين في القرآن والحديث، تحقيق ودراسة: أحمد فريد المزيدي، قدم له وراجعه: فتحي حجازي، مكتبة نزار مصطفى الباز، المملكة العربية السعودية، ط1، 1999م.

المـراجـــع المتـرجـــمة:

- أرمنيكو، فرانسواز: المقاربة التداولية، ترجمة: سعيد علوش، مركز الإنماء القومى،ع: 41، 1989م.
- إستوانوفا، اسفنكا: الموسيقى بوصفها اختلافًا، ترجمة: عبدالعزيز بن عرفة، ضمن كتاب: الدال والاستبدال، المركز الثقافى العربى، بيروت، لبنان، 1993م.
- أوستين، جون لانجشو: نظرية أفعال الكلام العامة(كيف ننجز الأشياء بالكلام)، ترجمة: عبد القادر قينينى، أفريقيا الشرق، ط1، 1991م.
- أولمان، ستيفن: دور الكلمة فى اللغة، ترجمة: كمال بشر، ط12، دار غريب، القاهرة، ط12، 1997م.
- دايك، تيون فان: النص والسياق (استقصاء البحث فى الخطاب الدلالى والتداولى)، ترجمة: عبد القادر قنينى، أفريقيا الشرق، المغرب، ط1، 2000م.
- دي بوجراند، روبرت: النص والخطاب والإجراء، ترجمة: تمام حسان، عالم الكتب، القاهرة، ط1، 1998م.
- ريكور، بول:

  * من النص إلى الفعل: أبحاث التاويل، ترجمة: محمد برادة وحسان بورقية، دار عين للدراسات والبحوث، القاهرة، ط1 ،2001م.

  * نظرية التأويل (الخطاب وفائض المعنى)، ترجمة: سعيد الغانمى، المركز الثقافى العربى، بيروت، لبنان، ط2، 2006م.
- سيرفونى، جان: الملفوظية (دراسة)، ترجمة: قاسم مقداد، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ط1، 1998م.
- شارودو، باتريك: الحجاج بين النظرية والأسلوب، عن كتاب نحو المعنى والمبنى، ترجمة: أحمد الودرنى، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، لبنان، ط1، 2009م.
- كوين، جون: بناء لغة الشعر، ترجمة: أحمد درويش، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، ط1، 1990م.
- لوتمان، يورى: تحليل النص الشعرى بنية القصيدة، ترجمة وتحقيق وتعليق: محمد فتوح أحمد، دار المعارف، القاهرة، ط1، 1995م.
- مالمبرج، برتيل: علم الأصوات، تعريب ودراسة، عبد الصبور شاهين، مكتبة الشباب، القاهرة، ط1، 1985م.